«ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ» (مت ٤: ١)

رسم للفنان البلجيكي يوحنا الفلاندي Juan de Flandes الذي كان يعمل في البلاط الملكي الأسباني في أوائل القرن السادس عشر الميلادي. وهو يُصوِّر البريَّة ذات أشجار وزهور وخضرة بخلاف الواقع الذي كانت عليه براري اليهودية. كما يُصوِّر الشيطان متخفِّيًا في زيِّ راهب يتظاهر بالتقوى، عارضًا نصائحه الخادعة. ولكن العين الفاحصة الروحيَّة تستطيع أن تكتشف حقيقته من ذقنه وقرونه التي تشبه الجدي حسب التصوير التقليدي للشيطان. كما يُصوِّره الفنان مُمسِكًا بقطعة حجارةٍ مستديرة تُشبه الخبزة، ويطلب من يسوع أن يُحوِّلها إلى خبز ليُشبِع بها جوعه، إن كان هو ابن الله. ولكن الربَّ يكشف مكره ويرفض عرضه مُشوِّحًا بيده. وفي الأُفق البعيد يُصوِّر التجربتَين المُقبلتَين: تجربة جناح الهيكل في أقصى يمين الصورة، والتجربة الأخرى في أقصى اليسار من أعلَى.

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٦٩ فبراير ٢٠٢٥م.

العدد ٦٦١ طوبة / أمشير ١٧٤١ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ» ١

أخبار الكنيسة:

تطييب ونقل أجساد ورفات أربعة عشر بطريركًا ٦

مقال للأب متى المسكين:

الصوم وحياة الاقتداء بالمسيح ١٤

من أقوال الآباء: النبي الهارب والشعب التائب (١) ٢١

بمناسبة تذكار دخول المسيح الهيكل:

«الآنَ يَا سَيِّدِي ...» ٢٧

بمناسبة الصوم المقدَّس: عظة عن موسم الصوم الكبير ... ٣٢

ادخل إلى العمق (٤٩):

الامتلاء بالروح إعدادٌ لطريق الصليب ٣٧

دراسات كتابيَّة: «دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (١) ٤٢

من التراث الكنسي: معرفة الله (١٦) ٤٩

بحث تاريخي:

أديرة الملاك ميخائيل الأثريَّة في مصر (٢)..... ٥٢

تقديم كتاب: جماليات النص الكتابي..... ٥٧

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 48 - 49 ..... ٦٤

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس أنبا مقار الكبير

فلْنحبَّ المسيح وحده

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

✠

[كيف، إذن، بجهلنا ورعونتنا وتهاوننا ونسياننا
نقايض جوهر النَّفس العقلي الثمين المحبوب،
هذا المستحق لكلِّ تقدير
فوق كلِّ خليقة منظورة وغير منظورة،
كيف نقايضه بأمورٍ ماديَّة سقيمة فاسدة؟
كيف نرتبط بما هو أرضي،
بما هو مادي وعالمي ومزيَّف،
ونُحبُّ الظاهرات
ونلتفت إلى زائلات هذا الدهر،
ونميل بانعطافٍ نحوها؛
بينما كان ينبغي لنا أن نطرح عنَّا كلَّ شيء،
ونَنْفُضَ عنَّا أمور الأرض الزائلة،
والأفكار الماديَّة الترابية الفاسدة،
لنرتبطَ بالمسيح وحده بالمحبة،
وننجرح بعشقٍ سماويٍّ نحوه وحده،
ونحبَّه هو وحدَه بِهُيامٍ روحانيٍّ]!

(المجموعة الثالثة – العظة ٢٥: ٤، ١)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات: بحوالة بريدية باسم:
مجلة مرقس على مكتب بريد شبرا
على عنوان: ص. ب ٣١ شبرا – القاهرة
أو على حساب شيكات بريدية رقم:
٠١٣٣١٠٠٠٠٣٠٨٥٨١٨
ويُحظر إرسال أية نقود داخل المظروف بالبريد
أو عن طريق خدمة أورانج وفودافون كاش الخاصة بأرقام المجلة
وتبدأ سنة الاشتراك في يناير من كل عام

ثمن النسخة ١٧ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
١٧٠ جنيهًا: داخل مصر (تسليم باليد)
٢٥٠ جنيهًا: داخل مصر (بالبريد)
١١٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
يُسدَّد عن طريق موقع الدير **على الإنترنت**
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
مطبعة دير القديس أنبا مقار
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٥
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

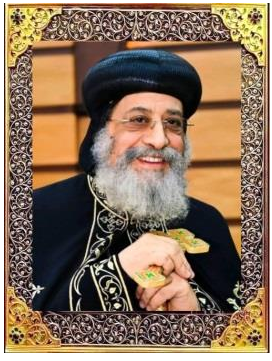

«صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ»

(١تس ٥: ١٧)

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًّا

✠✠✠

هناك ارتباطٌ شديد بين الفرح والصلاة والشكر، حتى إنه تمَّ ذكرهم في ثلاث آياتٍ مُتتالية: «اِفْرَحُوا كُلَّ حِينٍ. صَلُّوا بِلَا انْقِطَاعٍ. اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١تس ٥: ١٦ – ١٨).

وهذه الفضائل الثلاث لها ارتباطٌ زمني وثيق؛ بمعنى أنه لا أستطيع أن أفرح، بدون أن أُصلِّي، ولا توجد صلاة بدون شكر ... وهكذا.

ما هي الصلاة؟

- الصلاة هي لقاءٌ مع السيِّد المسيح وحديثٌ من القلب للقلب.
- الصلاة هي تنفُّس الروح.
- الصلاة هي الخط المفتوح دائمًا للاتصال بين الله وبيننا.
- الصلاة هي كوبٌ فارغ يوضع أمام الله ليملأه.
- الصلاة تُغيِّرنا، وتُغيِّر الآخرين، وتُغيِّر الأحوال والظروف.

مراحل الصلاة:

يقول الأب ثيئوفان الناسك عن مراحل حياة الصلاة:

١ – **أول مراحل الصلاة**: هي **الصلاة بالجسد**، والتي تتركَّب من مجموعة قواعد، مثل: القراءة، والصلاة، والوقوف بخشوع، وعمل المطانيات، ورفع الأيادي ... إلخ، فلكل صلاة النظام الخاص بها. فمثلًا: صلوات المزامير لها نظامٌ مُعيَّن، وصلوات القدَّاسات لها نظامٌ آخر، وصلوات العشيَّة لها نظام ... وهكذا. وهذا ما يُسمَّى بطقس الكنيسة.

وفي هذه المرحلة يُستَخدَم الجسد في الصلاة، مثل: رفع الأيدي، عمل المطانيات،

الوقوف ... إلخ؛ أمَّا العقل فكثيرًا ما يتشتَّت، وتشتيت الفكر هو أحد المشاكل الرئيسيَّة للصلاة.

٢ – **المرحلة الثانية:** تكون فيها الصلاة على قدرٍ كبير من **الانتباه الداخلي،** حيث يركِّز ذهن الإنسان في كلمة الصلاة لكي ما يكون منتبهًا لكلِّ كلمة ينطق بها، فلا يُصلِّي كما يقول المَثَل: "كما لقومٍ عادة" (عب ١٠: ٢٥)!! فهناك شخصٌ يُركِّز في كلمات الصلاة ويستوعبها جدًّا. ومن ضمن التداريب التي ينصح بها الآباء لكي نستطيع أن نتنبَّه لكلمات الصلاة، هو أنَّ مَنْ يُصلِّي يقوم بقراءة المزمور الواحد مرَّتين مُتتاليتين، بحيث إنه إن لم يستطع أن يُركِّز في كلمات المزمور في المرَّة الأولى، يمكنه أن يُركِّز في المرة الثانية.

٣ – **المرحلة الثالثة:** يُسمِّيها الآباء **صلاة القلب،** فيها تتَّحِد أفكار الذِّهن مع مشاعر القلب لينتج عنها الشعور الدافئ بالوجود الدائم في حضرة الله، وقد تأمَّل وكتبَ فيها كثيرٌ من الآباء. فقلب الإنسان من أهم الأمور في الحياة الروحيَّة، لأنه يكون مُعَبِّرًا عن الكيان الإنساني كله، فيشعر الإنسان في هذه اللحظة أنه متواجِد في الحضرة الإلهيَّة، ولا يشعر بمَنْ يتواجَد حوله من الناس؛ ولكن بالطبع هذه المرحلة هي مرحلة مُتقدِّمة جدًّا في الحياة الروحية.

لذلك عندما يصل الإنسان إلى هذه المرحلة، فإنه يكون قد وصل إلى الصلاة بلا انقطاع: **"الصلاة الدائمة".**

الصلاة الدائمة:

هي الصلاة التي لا تتوقَّف، يُصلِّي فيها الإنسان بلا انقطاع، يترنَّم بشكر، يُمجِّد الله منذ اللحظة التي يفتح فيها الإنسان عينيه وحتى المساء.

هي صلاة عَفَويَّة تخرج من القلب، هي تَعمَل كما يَعمَل القلب باستمرار، إذ توقُّفه يعني الموت. هي كالتنفُّس الذي لم يتوقَّف منذ ولادتنا، أو مثل الدم الذي يجري في عروقنا بدون انقطاع، وتوقُّف دورانه يعني الموت.

الصلاة بلا انقطاع هي شركة مع الله لا تنفصل عنه، لا تفصلها سوى الخطيَّة.

عندما سُئِل القدِّيس باسيليوس الكبير: كيف أنَّ الرُّسُل كانوا يُصلُّون بلا انقطاع؟

أجاب: في كلِّ أعمالهم كانوا يتفكَّرون في الله، فكانت هذه الحياة الروحيَّة هي صلاتهم الدائمة.

قال أحد الآباء: "إن داومتَ كلَّ حين على طعام الحياة الذي للاسم القدوس، اسم ربنا يسوع المسيح بغير فتور، فهو حلوٌ في فمِك وفي حلقِك، وبترديدك إيَّاه تتقدَّس نفسك، وبذلك يمكن أن تقتني الحياة"[١].

محور الصلاة الدائمة يرتكز في اسم يسوع المسيح، وهذا الاسم إن أكثرتَ في ترديده يصل إلى الحلاوة في فمك، كما نقول في إبصالية السبت: "اسمُكَ حلوٌ ومُبارَك في أفواه قدِّيسيك"، وأيضًا: "أعطَى فرحًا لنفوسنا تِذكار اسمك القدُّوس". فبمُجرَّد ذِكْر اسم يسوع يشعر الإنسان بالفرح، وهذا هو ارتباط الصلاة بالفرح وبالشكر، كما ذكرنا سابقًا.

والصلاة الدائمة يربطها الآباء بالتنفُّس، حيث إنَّ الصلاة الدائمة عبارة عن جملة تتكوَّن من كلماتٍ معدودة، هذه الكلماتٍ مثل السهم له مقدِّمة، هذه المقدِّمة هي اسم يسوع. ومن الأمور الجميلة في التاريخ الكنسي، أنَّ الآباء الذين عاشوا الحياة المسيحية النُّسكيَّة ابتكروا الصلاة القصيرة أو الصلاة السهميَّة، ويُعتَبَر هذا من الابتكارات الرائعة.

ومنذ القرن الرابع امتدَّت الصلاة الدائمة عند كافة الكنائس الشرقيَّة وفي البراري المصريَّة، فتظهر في تعليم نيلُس السينائي ويوحنا الدَّرَجي، وتظهر واضحة في تعاليم مار إسحق السرياني. وانتقل كلُّ هذا التراث القديم بكلِّ غِناه إلى الآباء الرُّوس الذين قاموا بتطبيقه بكلِّ أمانة وإخلاص وشغف حتى بلغوا فيها شأنًا كبيرًا. ويظهر هذا بوضوح في قصة السائح الروسي التي سنتعرَّض لها فيما بعد. وإذا تتبَّعنا تاريخ الصلاة الدائمة، نجد أنَّ الله نفسه طلبها من الآباء في العهد القديم، فيقول في سِفْر التثنية: «وَلِتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَا عَلَى أَوْلَادِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِي فِي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ، وَحِينَ تَقُومُ، وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَلِتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ» (تث ٦: ٦ – ٨).

وفي العهد الجديد يظهر منهج الصلاة الدائمة بتكرار اسم الرب يسوع باستمرار: "يا ربي يسوع المسيح ابن الله ارحمني أنا الخاطئ"، مع استخدام الفم والعقل والقلب وجميع الحواس.

---

(١) أنبا مقار في "بستان الرهبان"، قول (٦٠).

ولقد تعوَّد الشرقيُّون أن يستعملوا هذه العبارة، ويمكن أن يُقال باختصار: "يا ربي يسوع ...". فلتكن كلمة الرب في قلبك وتحكيها دائمًا لأولادك، كما يقول داود النبي: «أُخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي. فِي وَسَطِ الْجَمَاعَةِ أُسَبِّحُكَ» (مز ٢٢: ٢٢). ولتكن كلمة الرب هي محور حديثك في البيت، وسط كلِّ الأُسرة.

صلاة يسوع:

فكرة الصلاة القصيرة تعتمد على فضيلة ترك القلب عند الله، فاترك قلبك دائمًا عند الله، فهو الذي خلقك وأعطاك الحياة، ثم فداك، وهو الذي يُدبِّر لك أمورك في كلِّ يوم، بل في كلِّ لحظة، وكما يُعلِّمنا الكتاب: «حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هَنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا» (مت ٦: ٢١). فاسأل نفسك: أين هو قلبي؟ كما يقول الكاهن في القُدَّاس: "أين هي قلوبكم"؟ ونُجيب جميعًا: "هي عند الرب".

واسأل أيضًا أُمنا العذراء: "أين هو قلبُكِ"؟ بالطبع ستكون الإجابة: "إنَّ قلبي عند مسيحي". فاترك قلبك عند الله دائمًا، والله يستحقُّ هذا لأنه هو الذي أوجدك وأعطاك هذا القلب. وقد أوصانا الله في الكتاب قائلًا: «يَا ابْنِي، أَعْطِنِي قَلْبَكَ، وَلْتُلَاحِظْ عَيْنَاكَ طُرُقِي» (أم ٢٣: ٢٦)، ومن هنا جاءت الصلاة القصيرة التي تقول: "يا ربي يسوع المسيح ابن الله ارحمني أنا الخاطئ".

الصلاة الدائمة هي "الصلاة السَّهميَّة"، ولأن كلماتها قليلة تُسمَّى: "الصلاة القصيرة"؛ ولأن كلماتها تتكرَّر تُسمَّى: "الصلاة الدائمة"، وتُسمَّى أيضًا: "صلاة يسوع".

وكنيستنا القبطيَّة غنيَّة جدًّا بالصلاة، ويوجد بها كثيرٌ من الصلوات المتنوِّعة. فمثلًا كلمة "كيرياليسون" تُعتبَر صلاة، وقِطَع الأجبية عبارة عن صلوات، ويوجد صلوات طويلة مثل العشيَّات والقُدَّاسات، والتسبحة والمدائح مثل: الإبصاليات والثيئوطوكيات ، وكلها صلوات مُلحَّنة ومُنغَّمة بالموسيقى لكي ما ترتفع بمشاعر الإنسان. فكلمة الصلاة تصدر من العقل والفم، ووجود موسيقى أو نَغَم أو كلمات موزونة تُعتبَر أرقى ما يُمكن أن يُقدِّمه الإنسان لله. فقد أعطى الله للإنسان موهبة النُّطْق، لكي ما يُسبِّحه بها، كما إنه أعطاه آلة موسيقيَّة طبيعيَّة وهي الحنجرة، كما أعطاه الوتَر الصَّوتي وهي الأحبال الصوتيَّة، وهي من أرقى الأعضاء في جسم الإنسان.

ومن هنا نجد أنَّ التسابيح والصلوات والألحان، تُقدَّم في الكنيسة كتعبير حُبٍّ لله.

الهدف من حياة الصلاة الدائمة:

١. الشعور الدائم بوجود الله.

٢. إنها تصل بالإنسان للسَّكِينَة، وتعمل على التخلُّص الكامل من ضجيج العالَم والجسد والعواطف.

* يقول عنها القدِّيس إسحق تلميذ الأنبا أنطونيوس: "إنَّ الصلاة الدائمة في تلاوتها ثقة وسلام وأدوية شفاء من الهموم والأحزان والضيقات. فاجعلها لكَ رفيق الطريق، اجعلها على عتبة فمك، واربطها على صفحات قلبك".

ويروي لنا عن مُعلِّمه الأنبا أنطونيوس قائلًا: "كيف كان عقله يُسبَى وهو يُصلِّي طول الليل حتى إذا بدأت الشمس في الظهور، قال لها وهو متَّقدٌ بالروح: لماذا تعوِّقيني؟ أتُشرقين لكي تأخذيني من أشواق النور الحقيقي"[٢]؟!

لقد واظب الأنبا أنطونيوس على الصلاة الدائمة، حتى قيل عنه: إنه كان يتنفَّس بالمسيح.

---

(٢) "مناظرات يوحنا كاسيان"، ٩: ٣١.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القدِّيس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****

تطييب ونقل أجساد ورفات أربعة عشر بطريركًا إلى مقصورتهم الجديدة بدير القدِّيس أنبا مقار

في تذكار تكريس كنيسة القدِّيس أنبا مقار يوم الخميس ٨ طوبة ١٧٤١ للشهداء الأطهار الموافق ١٦ يناير ٢٠٢٥ ميلادية، وفي احتفالٍ مهيب؛ قام قداسة البابا المعظَّم الأنبا تواضروس الثاني بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، ويُشاركه أربعة وعشرون من الآباء المطارنة والأساقفة من أعضاء المجمع المقدَّس لكنيستنا القبطية الأرثوذكسيَّة، ولفيفٌ من الآباء الكهنة والرهبان، بتطييب ونقل أجساد ورفات البطاركة المدفونين بدير القدِّيس أنبا مقار من مكانها القديم (أسفل مقصورة الثلاثة مقارات القدِّيسين)، إلى مقصورةٍ جديدة خاصة بهم في الزاوية الشمالية الغربية من كنيسة القدِّيس أنبا مقار بجوار المقصورة القديمة.

وقد حضر قداسة البابا إلى الدير مساء الأربعاء ١٥ يناير الساعة الرابعة، يُرافقه نيافة

الأنبا يوليوس أسقف مصر القديمة وأسقفية الخدمات، ونيافة الأنبا ديوسقوروس أسقف دير العذراء مريم والقدِّيس أنبا يحنس. واطَّلع قداسته مع الآباء الحاضرين على المجهود الذي قام به آباء الدير – على مدار عامين – في فحص وتعقيم وتوثيق وتكفين أجساد ورفات البطاركة المدفونين بالدير، وإنقاذها من الرطوبة الموجود بالمقصورة القديمة، وتجهيز المقصورة الجديدة الخاصة بها. وقضى قداسته وبعض الآباء الأساقفة ليلتهم بالدير، وانضمَّ إليهم الآباء الذين حضروا باكرًا في صباح يوم الاحتفال.

تفاصيل يوم نقل الأجساد:

في تمام الساعة السابعة والنصف صباح يوم الخميس، تَحرَّك موكب قداسة البابا والآباء المطارنة والأساقفة، يتقدَّمهم الكهنة والرهبان والشمامسة من مقرِّ الضيافة بمبنى مؤتمرات المُتنيِّح نيافة الأنبا إبيفانيوس الى كنيسة القدِّيس أنبا مقار، وكان موكبًا مهيبًا. وقبل تطييب الرفات تفقَّد قداسة البابا والآباء الحضور التوابيت الموضوع فيها أجساد ورفات الآباء البطاركة الـ ١٤؛ حيث تمَّ وضع جسد كلِّ بطريرك في تابوتٍ خشبي يعلوه غطاء زجاجي، يظهر من خلاله الأب البطريرك وهو يرتدي ملابس الخدمة الكهنوتية. وتمَّ وضع العظام المتبقية من بعض البطاركة في أنابيب خشبية مغطَّاة بغطاء من القطيفة القرمزية وعليها صورة تعبيرية لأحد البطاركة.

وبعد تَفقُّد الأجساد وأَخذْ بركتها، تمَّ استبدال الأغطية الزجاجية بأخرى خشبية. وبدأ التطييب، وتلاه قراءة الوثيقة الخاصة بنقلهم، وقراءة سيرة كلٍّ بطريرك حسب الترتيب التاريخي. وبعد قراءة سيرة كلٍّ بطريرك، كان الآباء يحملون التابوت الذي يحوي رفاته ويدورون به في الهيكل والكنيسة، بينما يُرتِّل خورس الدير الألحان والتماجيد المناسبة. وتنتهي كلُّ دورةٍ بوضع الأب البطريرك في مكانه بالمقصورة الجديدة الخاصة به. وبعد ذلك تمَّ أيضًا تطييب رفات الثلاثة مقارات القدِّيسين ورفات القدِّيس يحنس القصير وعمل تمجيد لهم. وقام قداسة البابا والآباء المطارنة والأساقفة والقمص سرجيوس سرجيوس وكيل عام البطريركية بالقاهرة بالتوقيع على الوثيقة التاريخية لنقل أجساد البطاركة. وصلَّى قداسته القدَّاس الإلهي، وشاركه في الصلاة الآباء المطارنة والأساقفة والكهنة الحضور ومجمع رهبان الدير.

التوثيق التاريخي وقائمة البطاركة المنقولة رفاتهم:

وقد قام الدير بإصدار بحثٍ تاريخيٍّ مُفصَّل عن دفن هؤلاء الآباء البطاركة الأربعة عشر بدير القديس أنبا مقار، وتمَّ طباعته في كُتيِّبٍ تمَّ توزيعه على قداسة البابا والآباء المطارنة والأساقفة والكهنة والرهبان وبعض الحضور من العلمانيين.

وقد قام الدير أيضًا بإصدار وثيقة تاريخية تمَّ التوقيع عليها من أمين الدير القس إيسيذوروس المقاري، واعتمادها بخاتم الدير بعد مراجعتها من قِبَل قداسة البابا، وكان نصُّ هذه الوثيقة كالتالي:

✣ يشهد دير القدِّيس أنبا مقار بوادي النطرون أنه بالبحث التاريخي في مختلف المصادر، تبيَّن أنَّ البطاركة المدفونين بالدير هم أربعة عشر (١٤) بطريركًا كالتالي:

١	البابا خائيل الثاني	(٥٣)	(٨٤٩ - ٨٥١م)
٢	البابا خائيل الثالث (ميخائيل الأول)	(٥٦)	(٨٨٠ - ٩٠٧م)
٣	البابا غبريال الأول	(٥٧)	(٩٠٩ - ٩٢٠م)
٤	البابا قسما (قزمان) الثالث	(٥٨)	(٩٢٠ - ٩٣٢م)
٥	البابا مكاريوس الأول	(٥٩)	(٩٣٢ - ٩٥٢م)
٦	البابا خرستوذولوس	(٦٦)	(١٠٤٦ - ١٠٧٧م)
٧	البابا كيرلس الثاني	(٦٧)	(١٠٧٨ - ١٠٩٢م)
٨	البابا ميخائيل الثاني	(٦٨)	(١٠٩٢ - ١١٠٢م)
٩	البابا مكاريوس الثاني	(٦٩)	(١١٠٢ - ١١٢٨م)
١٠	البابا غبريال الثاني ابن تريك	(٧٠)	(١١٣١ - ١١٤٥م)
١١	البابا ميخائيل الثالث	(٧١)	(١١٤٥ - ١١٤٦م)
١٢	البابا يؤانس الخامس	(٧٢)	(١١٤٧ - ١١٦٦م)
١٣	البابا مرقس الثالث ابن زرعة	(٧٣)	(١١٦٦ - ١١٨٩م)
١٤	البابا مرقس الخامس	(٩٨)	(١٦٠٣ - ١٦١٩م)

وبفحص الرفات الموجودة بمقصورة البطاركة بالدير، تبيَّن أنها عبارة عن لفَّتَين بهما بعض عظام لشخصين، ثم ثمانية هياكل بشرية شبه كاملة ملفوفة في لفائف من الكتان. وقد وُجِدَت في ثنايا هذه اللفائف أجزاء مُخبَّأة لاحقًا من هياكل عظمية لأشخاصٍ أُخر، تُشير الأجزاء الرئيسية فيها إلى أربعة أشخاص على الأقل (أغلب الظنّ أنهم من أجساد بطاركة أقدم وُجِدَت مُتحلِّلة عند نقلهم من مدفنهم الأقدم خارج أسوار الدير). وبذلك يتوافق البحث التاريخي مع ما هو موجود. وعليه، تمَّ وضع الهياكل البشرية الثمانية شبه الكاملة كل هيكل منها في تابوتٍ خاص به بعد تكفينه بالتكفين اللائق، ومن تحته اللفائف الكتانية القديمة الخاصة به في كيسٍ من القماش. وأمَّا عظام البطاركة الأُخر، فتمَّ تقسيمها على ثلاث أنابيب، بحيث تحوي كلُّ أنبوبة عظام شخصين تقريبًا. وتمَّ وضعها في مقصورةٍ جديدة خاصة بها في الزاوية الشمالية الغربية من كنيسة القدِّيس أنبا مقار بجوار المقصورة القديمة. وكان ذلك في تذكار تكريس كنيسة أنبا مقار يوم الخميس ٨ طوبة ١٧٤١ للشهداء الأطهار الموافق ١٦ يناير ٢٠٢٥ ميلادية، بيد قداسة البابا المعظَّم الأنبا تواضروس الثاني بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية.

وهذه وثيقة منَّا بذلك،

❖ وقد قام قداسة البابا بقراءة هذه الوثيقة علنًا بعد تطييب الأجساد، وقام بالتوقيع عليها، وتلاه في التوقيع عليها كلٌّ من:

١ – نيافة الأنبا دانيال – مطران المعادي وسكرتير المجمع المقدس.

٢ – نيافة الأنبا توماس – مطران القوصية ومير.

٣ – نيافة الأنبا متَّاؤس – أسقف دير السريان بوادي النطرون.

٤ – نيافة الأنبا دانيال – أسقف دير القدِّيس الأنبا بولا بالبحر الأحمر.

٥ – نيافة الأنبا أولوجيوس – أسقف دير الأنبا شنودة رئيس المتوحدين بسوهاج.

٦ – نيافة الأنبا أغابيوس – أسقف دير القدِّيس الأنبا بيشوي بوادي النطرون.

٧ – نيافة الأنبا ساويروس – أسقف دير الأنبا توماس السائح، ودير الشهيد مار بقطر بالخطاطبة.

٨ – نيافة الأنبا رافائيل – الأسقف العام لكنائس وسط القاهرة.

٩ – نيافة الأنبا إرميا – الأسقف العام ورئيس المركز الثقافي القبطي.

١٠ – نيافة الأنبا يوليوس – الأسقف العام لكنائس مصر القديمة وأسقفية الخدمات.

١١ – نيافة الأنبا دوماديوس – أسقف ٦ أكتوبر وأوسيم.

١٢ – نيافة الأنبا صليب – أسقف ميت غمر ودقادوس وبلاد الشرقية.

١٣ – نيافة الأنبا مقار – أسقف الشرقية والعاشر من رمضان.

١٤ – نيافة الأنبا قزمان – أسقف سيناء الشمالية.

١٥ – نيافة الأنبا ثيئودوسيوس – أسقف الجيزة.

١٦ – نيافة الأنبا إكليمندس – الأسقف العام لكنائس قطاع ألماظة ومدينة الأمل وشرق مدينة نصر.

١٧ – نيافة الأنبا فام – أسقف شرق المنيا.

١٨ – نيافة الأنبا إيلاريون – أسقف البحر الأحمر.

١٩ – نيافة الأنبا إغناطيوس – أسقف عام المحلة الكبرى.

٢٠ – نيافة الأنبا أكسيوس – أسقف المنصورة.

٢١ – نيافة الأنبا ديوسقوروس – أسقف دير العذراء والأنبا يحنس القصير.

٢٢ – نيافة الأنبا نوفير – أسقف شبين القناطر.

٢٣ – نيافة الأنبا أنجيلوس – أسقف عام شبرا الشمالية.

٢٤ – نيافة الأنبا توماس – أسقف ورئيس دير السيدة العذراء ورئيس الملائكة ميخائيل بالبهنسا.

٢٥ – القمص سرجيوس سرجيوس – وكيل عام البطريركية بالقاهرة.

وثيقة

يشهد دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون أنه بالبحث التاريخي في مختلف المصادر تبين أن البطاركة المدفونين بالدير هم أربعة عشر (١٤) بطريركًا كالتالي:

١	البابا خائيل الثاني	(٥٣)	(٨٤٩ - ٨٥١ م)
٢	البابا خائيل الثالث (ميخائيل الأول)	(٥٦)	(٨٨٠ - ٩٠٧ م)
٣	البابا غبريال الأول	(٥٧)	(٩٠٩ - ٩٢٠ م)
٤	البابا قسما (قزمان) الثالث	(٥٨)	(٩٢٠ - ٩٣٢ م)
٥	البابا مكاريوس الأول	(٥٩)	(٩٣٢ - ٩٥٢ م)
٦	البابا خرستودولوس	(٦٦)	(١٠٤٦ - ١٠٧٧ م)
٧	البابا كيرلس الثاني	(٦٧)	(١٠٧٨ - ١٠٩٢ م)
٨	البابا ميخائيل الثاني	(٦٨)	(١٠٩٢ - ١١٠٢ م)
٩	البابا مكاريوس الثاني	(٦٩)	(١١٠٢ - ١١٢٨ م)
١٠	البابا غبريال الثاني ابن تريك	(٧٠)	(١١٣١ - ١١٤٥ م)
١١	البابا ميخائيل الثالث	(٧١)	(١١٤٥ - ١١٤٦ م)
١٢	البابا يؤانس الخامس	(٧٢)	(١١٤٧ - ١١٦٦ م)
١٣	البابا مرقس الثالث ابن زرعه	(٧٣)	(١١٦٦ - ١١٨٩ م)
١٤	البابا مرقس الخامس	(٩٨)	(١٦٠٣ - ١٦١٩ م)

وبفحص الرفات الموجودة بمقصورة البطاركة بالدير تبين أنها عبارة عن لفائف بعضها بمعض عظام لشخصين، ثم عناية هياكل بشرية شبه كاملة ملفوفة في لفائف من الكتان، وقد وُجدت في ثنايا هذه اللفائف أجزاء عباءة لاحظًا من هياكل عظمية لأشخاص أخر تشير الأجزاء الرئيسية فيها إلى أربعة أشخاص على الأقل (أغلب الظن أقيم من أجساد بطاركة أقدم وجدت متحللة عند نقلهم من مدفنهم الأقدم خارج أسوار الدير)، وبذلك يتوافق البحث التاريخي مع ما هو موجود. وعليه، تم وضع الهياكل البشرية العظمية شبه الكاملة كُلًا في تابوتٍ خاص به بعد تكفينه بالكفين اللائق ومن أجله اللفائف الكتانية القديمة الخاصة به في كيس من القماش، وأما عظام البطاركة الأخر فتم تقسيمها على ثلاث أتابيب بحيث تحوي كل أتبوية عظام شخصين تقريبًا، وتم وضعها في مقصورة جديدة خاصة بها في الزاوية الشمالية الغربية من كنيسة القديس أنبا مقار بجوار المقصورة القديمة. وكان ذلك في تذكار نكريس كنيسة أنبا مقار يوم الخميس ٨ طوبة ١٧٤١ للشهداء الأطهار الموافق ١٦ يناير ٢٠٢٥ ميلادية بيد قداسة البابا المعظم الأب تواضروس الثاني بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية.

وهذه وثيقة منّا بذلك،

قداسة البابا المعظم الأب تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

أمين دير القديس أنبا مقار
القس إيسيذوروس المقاري

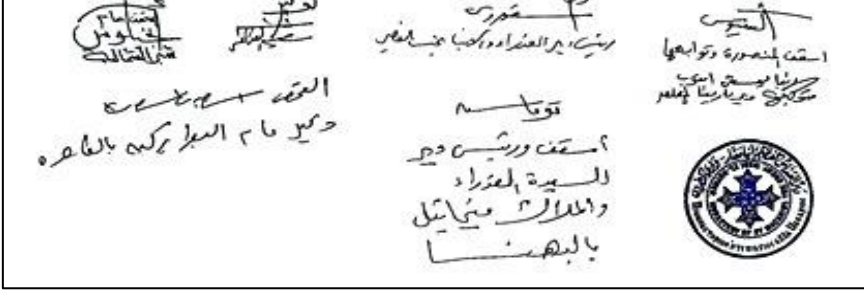

مقتطفات من عظة قداسة البابا تواضروس الثاني:

وعقب قراءة إنجيل القدَّاس، قام القس سرجيوس المقاري، نيابةً عن مجمع الدير، بإلقاء كلمةِ ترحيبٍ وشكرٍ لقداسة البابا والآباء المطارنة والأساقفة والكهنة الحاضرين.

✠ وبعدها، ألقى قداسة البابا عظة القدَّاس، وأشار في بدايتها إلى أننا في **"يومٍ تاريخيٍّ وفريد"**، ليس فقط في دير القدِّيس مكاريوس الكبير، ولكن في الكنيسة كلها، لافتًا إلى أن دير القدِّيس أنبا مقار ديرٌ عريق وله تاريخٌ طويل، وتخرَّج منه ٢٩ من الآباء البطاركة.

✠ وعن البطاركة الـ ١٤ المدفونة أجسادهم في الدير، نوَّه قداسة البابا إلى أنهم جلسوا على الكرسي المرقسي في الفترة من القرن التاسع الميلادي إلى القرن السابع عشر الميلادي، أي عَبْر رحلةٍ طويلةٍ امتدَّت إلى أكثر من تسعة قرون.

✠ ونوَّه قداسته إلى أن الاهتمام بعمل مقصورة للآباء البطاركة ووَضْعهم فيها بجوار مقصورة الثلاثة مقارات القدِّيسين، يُعبِّر عن الوفاء والمحبة اللذين يُميِّزان تاريخ الكنيسة القبطية عَبْر القرون والسنين. وقد تمَّ وضعهم في توابيت خشبيَّة، لأن الخشب يرمز للصليب، وهؤلاء الآباء قد حملوا الصليب. ونحن نضع عليهم بعض العطور النباتية، إشارة الى رائحة المسيح الذكيَّة في سيرة هؤلاء البطاركة.

✠ وفي ختام كلمته، قدَّم قداسة البابا الشكر للآباء المُشاركين في هذه المناسبة، ولكلِّ مَنْ ساهم في إنجاح هذا الحدث التاريخي، وهنَّأ الحاضرين بمناسبة أعياد الظهور الإلهي.

✠ وختامًا، أوصى قداسة البابا أن يتمَّ تسجيل هذا الحدث التاريخي الهام في سنكسار الكنيسة القبطية، حيث إنه يُمثِّل امتدادًا للتاريخ القبطي، وتقديرًا لدور هؤلاء البطاركة في الحفاظ على الإيمان والتقاليد الأرثوذكسيَّة. ويعكس أيضًا روح الوحدة والتكامُل والوفاء بين أجيال الكنيسة المختلفة، والاحترام العميق للقيادات الكنسيَّة التي تركت بصمةً خالدة في تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسيَّة، ويُعدُّ ذلك فرصةً لتجديد الروحانية وتعميق الإيمان لدى المؤمنين.

❖ نطلب من إلهنا الصالح أن يُبارك في كنيسته، ويجعلها كنيسةً مجيدة على الدوام، بصلوات أولئك الآباء البطاركة وسائر القدِّيسين، وصلوات قداسة البابا المعظَّم الأنبا تواضروس الثاني وآبائنا المطارنة والأساقفة، آمين.

مقال للأب متى المسكين

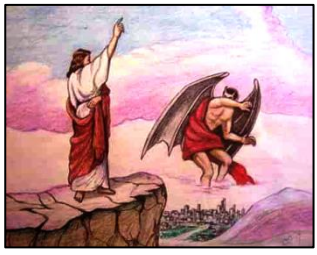

الصوم

وحياة الاقتداء بالمسيح[1]

✠✠✠

الكنيسة تعيش على الاقتداء بالمسيح. كلُّ ما عمله المسيح تعمله الكنيسة ليصير حياتها. إنَّ الدعوة التي ألقاها المسيح على متى الرسول: «اتْبَعْنِي» (مت ٩: ٩)، كان يَقصُد بها المسيح أن يقول للقدِّيس متى: "خُذْ حياتي لكَ". وقد أخذت الكنيسة هذه الدعوة كمنهجٍ لها.

الصوم في حياة وأعمال المسيح يأخذ مركز الصدارة كأول استجابة لعمل المسحة والامتلاء بالروح. فهو يُشكِّل المعركة الأُولى التي أنهى فيها على خصمه: رئيس هذا العالم. وعلى ضوء خبرة المسيح بعد أربعين يومًا وأربعين ليلة صومًا كاملًا، أسكت فيها صوت الشيطان، يضع لنا أساس تعامُلنا مع عدوِّ جنسنا بكلِّ مُغرياته وأوهامه الباطلة: «هذَا الْجِنْسُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ» (مر ٩: ٢٩). فحينما يدخل الإنسان في الصوم يخرج الشيطان من الجسد.

والمسيح، بصفته ابن الله، لم يكن في حاجة للصوم، ولم يكن في حاجة إلى مواجهة مكشوفة مع الشيطان، تمامًا كما إنه لم يكن في حاجة إلى العماد أو الامتلاء من الروح القدس. ولكن المسيح أكمل كلَّ شيء من أجلنا، لكي تكون حياته حياتنا، وأعماله تصبح أعمالنا.

فإن كُنَّا قد عرفنا أن العماد أكمله المسيح «**لِيُظْهَرَ لإِسْرَائِيلَ**» (يو ١: ٣١)، حسب تقرير يوحنا المعمدان، فالامتلاء من الروح القدس بالتالي كان «**لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ**» (مت ٤: ١)، أي ليظهر على حقيقته تجاه عالم أرواح الظلمة، وليدخل جهارًا في معركةٍ سافرة مع الشيطان لحساب جنسنا.

---

(١) عن كتاب: "الصوم الأربعيني المقدَّس"، الطبعة الرابعة: ١٩٩٤، من ص ٦٤ – ٧١.

أمَّا الصوم فكان لرفع الجسد إلى مستوى المعركة مع أرواح الشر، ذلك الجنس الشرير المُتسلِّط على الجزء الأضعف فينا، أي الجسد!

ويُلاحِظ القارئ أنَّ **العماد، والامتلاء من الروح القدس، والصوم؛** هم ثلاثة أفعال أساسيَّة مسلسلة في حياة المسيح، لا يمكن فصلهم عن بعضهم البعض، وقد انتهوا بنصرة كاملة على الشيطان، بصفته رئيس هذا العالم، تمهيدًا للإنهاء عليه بالصليب.

لذلك أصبح من أهم ما يمكن لحياتنا أن نأخذ بهذه الأفعال الثلاثة كما هي، ثم نتحسَّس قوَّة كلٍّ منها في أعماقنا، ونستمدُّ من المسيح استعلان عملها فينا كما كانت فيه، حتى تنطبق علينا حياة المسيح ذاتها، لأن القصد النهائي من العماد والامتلاء من الروح القدس والصوم، هو أن يصير المسيح نفسه فينا: «أَحْيَا لَا أَنَا، بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غل ٢: ٢٠)!

في **العماد** تنقطع صلتنا بآدميتنا الأُولى، لنأخذ بنوَّتنا لله في المسيح.

في **الامتلاء بالروح القدس** تنقطع صلتنا بالشيطان وحياة الخطية، لنأخذ روح الحياة في المسيح.

في **الصوم** تنقطع الصلة بين الغريزة والشيطان، ليأخذ الجسد نصرة السلوك بالروح في المسيح.

وهكذا يستحيل أن نفصل بين هذه الأفعال الثلاثة: **فالعماد** يُعطي ملئًا روحيًّا، **والملء الروحي** يُعطي **بالصوم** نُصرة للجسد للسلوك بالروح، وبالثلاثة معًا يحيا الإنسان في المسيح، ويحيا المسيح في الإنسان!

على أنَّ البُعد الزمني للأفعال الثلاثة لا يُضْعِف من التحامها معًا أو يفصل بين قوَّة الواحد عن الآخر. **فالعماد** في الطفولة، **والملء** عند نضوج الوعي العقلي والانفتاح النفسي، **والصوم** الذي يأتي كختام هذه الأفعال الثلاثة، لا تُرى – بالرؤيا الروحيَّة – أنها منفصلة، فهي وإن أتت على مستوى الزمن مُتباعدة – بحُكْم الضرورة الإنسانيَّة – إلَّا أنها من حيث طبيعتها الروحية فعلٌ واحد؛ لأنها نابعة لنا من المسيح، والمسيح هو **"فعلٌ واحد" "كلمةٌ واحدة"**، يحلُّ فينا بنفسه في كلِّ فعل من الأفعال الثلاثة ليُعطينا بالنهاية مِلأَه وشكله وحياته، لنحياه هو كفعلٍ واحد وكلمةٍ واحدة، ولكي لا نعود نحيا أنفسنا في

صورتها المُمزَّقة المُنقسمة.

وكلُّ ما أريد أن أوضِّحه للقارئ، هو أن الصوم **"فعلٌ إلهي"** استلمناه من المسيح، كفعل حياة جاء مُكمِّلًا لفعل العماد والملء. وكان همُّ الكنيسة الأعظم منذ البدء أن تدخل **"أفعال حياة المسيح"** في جسمها لتكون أفعال حياة لكلِّ أعضائها لتحيا بها. فهي إن كانت تقتدي بالمسيح في منهجها الحياتي، فذلك لأنها أُعطيت من الله نعمةً وسلطانًا أن تأخذ المسيح نفسه كحياةٍ لها. فالكنيسة المتَّحدة بالمسيح، هي صورة حيَّة وفعَّالة لحياة المسيح، وقد صوَّرها الإنجيل أنها **«عروس المسيح»** المتَّحدة بعريسها، حيث بينما يُعلِن الإنجيل بهذا الوصف أنَّ الكنيسة **صارت واحدة مع المسيح،** فالإنجيل لا يزال يلحُّ على أنَّ المسيح سيظل عريسًا قائمًا بذاته، مهما أعطَى ذاته. فلا المسيح يصير كنيسة، ولا الكنيسة تصير مسيحًا، وهذا يؤكِّد لنا أننا – ككنيسة وكأعضاء في جسد المسيح – سنظل محتاجين إلى أن نُجاهد لنأخذ المسيح، لنكون أكثر شَبَهًا للمسيح، لنكون **عروسًا «بِلَا دَنَسٍ»** (أف ٥: ٢٧)، **«عَذْرَاءَ عَفِيفَةً»** (٢كو ١١: ٢) مخطوبة، وفي حالة خطوبة دائمة بشِبْه العذراء التي حَمَلَت وولدت الكلمة وهي عذراء مخطوبة؛ حيث العذراوية هنا هي حِفْظ الإنسان نفسه بلا دنس في هذا العالم، وحيث الدَّنس هو الاشتباك غير المقدَّس بين الشيطان و«شَهْوَةَ الْجَسَدِ» و«شَهْوَةَ الْعُيُونِ» و«تَعَظُّم الْمَعِيشَةِ» (١يو ٢: ١٦). هذه الرُّبُط الثلاثة فكَّها المسيح وحطَّمها أثناء الصوم المقدَّس على جبل التجربة، وسلَّمها لنا كصكِّ ميراثٍ نعيشه ونُحقِّقه بالصوم، في ملء الروح القدس وسرِّ المعمودية.

الصوم بهذا المعنى قامة من قامات المسيح الأساسيَّة التي لا يمكن أن يتجاوزها إنسان، ويقول إني أعيش في ملء قامة المسيح (أف ٤: ١٣)، أو أن المسيح يعيش فيَّ في ملء قامته. فإن كانت المعمودية قامة والصليب قامة، فالصوم هو القامة التي عاشها المسيح كمرحلةٍ أساسيَّة وهامة جدًّا، بين المعمودية والصليب.

فالملء بالروح القدس الذي أكمله المسيح بالمعمودية، رَفَع الجسد إلى مستوى الصوم الفائق، أي إماتة الجسد بالنُّسك الشديد؛ والصوم كحرمانٍ كلِّي من الأكل والشُّرب والانفراد الكُلِّي والصلاة، رَفَع الجسد إلى مستوى الصليب!!

يستحيل أن يحمل الإنسان صليبه حسنًا ويجوز تجربة الشيطان ومحنة العالم وظُلم

الأشرار، دون أن يستوفي **قامة الصوم** على جبل التجربة. والامتلاء بالروح القدس إن لم يؤهِّل الإنسان للصوم، فخطر السقوط تحت تجربة الصليب قائمٌ أمامه لا محالة.

هنا الاقتداء بأعمال المسيح، التي جعلتها الكنيسة منهج حياة لنا، يظهر بوضوحٍ فائق أنه ضرورة حتميَّة يلزم أن نأخذه لأنفسنا ونكتشف فيه خلاصنا وقوَّتنا وأماننا ونُصرتنا.

فالمسيح لم يعتمد لأجل نفسه، ولا صُلِب لأجل نفسه، وبالتالي لم يَصُم أربعين يومًا وأربعين ليلة من أجل نفسه!! لذلك فأعمال المسيح، وهي قوَّة قادرة مقتدرة بحدِّ ذاتها، صارت مصادر خلاصنا وحياتنا، ولكن لا تؤول قوَّتها إلينا إلَّا إذا عشناها ومارسناها. فالذي يعتمد يلبس المسيح، والذي يمتلئ بالروح القدس يحيا بحياة المسيح، والذي يصوم ينال نُصرة المسيح على رئيس هذا العالم.

لذلك نسمع المسيح، بكلِّ وضوح، يُعلِن مدى تأثير أعماله وحياته علينا بقوله: «إِنْ حَرَّرَكُمُ الِابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا» (يو ٨: ٣٦). وكيف يُحرِّرنا الابن من العالم والشيطان وذواتنا، إلَّا بأن يعيش فينا ويُعطينا حياته وأعماله ونصرته؟ لذلك يؤكِّد كثيرًا: **«اُثْبُتُوا فِي مَحَبَّتِي»** (يو ١٥: ٣). هذا هو الفعل أو العمل المتبادَل. نحن نعمل أعماله ونحيا على مثاله، فيُعطينا هو بالتالي قوَّة أعماله وقوَّة حياته ومثاله!!

ويعود مرةً أخرى ويُنبِّه: **«تَعَلَّمُوا مِنِّي»** (مت ١١: ٢٩). وهنا يكشف أنه وَضَعَ نفسه كنموذج حياة وعمل **«كسابق من أجلنا»** (عب ٦: ٢٠)، **«كَبَاكُورَة»** (١كو ١٥: ٢٣)، حتى نتبعه في كلِّ شيء بكلِّ تدقيق **«لنصير مثله»** (١يو ٣: ٢)، لأنه صار مثلنا لكي نصير مثله!

والمسيح بعد أن أكمل طريق خلاصنا بهذه الأعمال كلِّها يقف الآن بوجهه الشاحب وجروحه في يديه ورجليه وجنبه، يسأل: "هل تؤمنون بي؟ هل تؤمنون بالأعمال التي عملتها؟ هل تقبلونني كعريس حقًّا"؟ وهو لا ينتظر منا أن نقول: "نعم" فقط كعروس مُتكاسلة، لأنه يدعونا للشركة الكاملة معه في الآلام والمجد معًا. فعلينا أن نُثبت شركة إيماننا باستجابة لشركة أعماله. فالأعمال وحدها هي التي تشهد لصدق إيماننا، ولكنه كعريسٍ حقيقي لم يتركنا لنخترع لأنفسنا أعمالًا؛ بل وَضَعَ لنا بنفسه منهج أعمالنا وحياتنا: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ» (يو ١٤: ٦)، «مَنْ يَتْبَعْنِي فَلَا يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ» (يو ٨: ١٢). التبعية هنا ليست نظرية فكر، بقدر ما هي اقتفاء أثر، واقتداء عمل، وشركة حبٍّ وألم.

وليُلاحِظ القارئ أنَّ كلَّ وصايا المسيح التي أوصى بها من جهة الأعمال، سواء الفقر الاختياري أو النُّسك أو جَحْد الأهل أو التجرُّد أو حَمْل الصليب، تدور كلها حول شخص المسيح وتنتهي إليه: **«مِنْ أَجْلِي»** (مت ١٦: ٢٥)، **«تَعَالَ اتْبَعْنِي»** (مت ١٩: ٢١)، **«مِنْ أَجْلِ اسْمِي»** (مت ١٩: ٢٩)، **«يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا»** (لو ١٤: ٢٦)، **«يسير ورائي»** (مت ١٦: ٢٤)، **«تَسْهَرُوا مَعِي»** (مت ٢٦: ٤٠).

هنا المسيح يُشاركنا، أو بالحري نحن نُشاركه كلَّ عمل من أعماله التي أحبها، على أساس من حبِّنا وبذلنا ونُسكنا. من هنا أصبحت أعمالنا كلها مستمدَّة من أعماله: نُسكنا من نُسكه، وصومنا من صومه، وحبنا من حبه، وبالنهاية الشركة هنا شركة واقعية نُنميها كلَّ يوم بمزيد من الاقتداء في الفكر والعمل السلوكي على آثار خطواته، وتعميق إحساسنا به في حياتنا حينما نجعله عاملًا فينا ومُريدًا لنا، ونحن في استجابةٍ حُرَّة تلقائية سريعة كعروسٍ لعريس.

الأعمال هنا كلُّها التي نعملها في اسم المسيح ولأجل اسمه واقتداءً به، من صوم وسهر وصبر وتحمُّل آلام واضطهاد وخدمة ومحبة باذلة وصليب، هي ترجمة إراديَّة لشهوة الاقتداء ثم الاتِّحاد بشخص المسيح: **«اتْبَعْنِي»** (مت ٩: ٩)، وهي تعبيرٌ عن شركة بالروح وبالقلب والنيَّة.

هنا قد تكون هذه الأعمال واسطة للتعبير عن إعطاء النفس كلها للمسيح عطاءً علنيًّا في حبٍّ مستسلم وتبعيَّة مطلقة، كما أعطى يوحنا ويعقوب أخوه وبقية التلاميذ حياتهم وسلَّموا أنفسهم للمسيح بمجرَّد أن رأوه وسمعوه، فتركوا بيوتهم وأعمالهم وصاروا من التابعين: **«هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ»** (مت ١٩: ٢٧)، فصاروا بالفعل شركاء في كلِّ أعمال المسيح ومسيرته وآلامه: «أَنْتُمُ الَّذِينَ ثَبَتُّوا مَعِي فِي تَجَارِبِي» (لو ٢٢: ٢٨).

ولكن لا يمتنع أن تكون هذه الأعمال كلها من صوم وسهر وصلاة وخدمة وبذل تعبيرًا عن محبة مخفيَّة، لكن مُضافة على أعمال الحياة اليومية وسَعْي الجسد للُقْمة العَيْش وتربية الأولاد، كما سمعنا عن كثيرين من الذين تبعوا المسيح دون العلانية الرسمية كنيقوديموس ويوسف الرامي ومرثا ومريم ولعازر وغيرهم، الذين بلغوا إلى مستوى عالٍ جدًّا من المحبة للمسيح لا تقلُّ عن الرُّسُل أنفسهم. غير أنَّ الذين تركوا بالفعل كلَّ شيء – أي بيوتهم ووظائفهم – وتبعوا المسيح، هم الذين جعلوا من الأعمال الروحيَّة تعبيرًا مُتساميًا جدًّا عن

تقييم عميق لشخص المسيح: «قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ»، حيث كلمة «تَبِعْنَاكَ» هنا تُفيد الانتقال من العمل الدنيوي إلى العمل الروحي، باعتبار أنَّ المسيح كفوٌّ أن يملأ الحياة ويغطي كلَّ إعوازها، ويصير هو عملنا الوحيد ورجاءنا الوحيد واهتمامنا الوحيد.

وهذه هي بعينها العقيدة الأرثوذكسية التي تسلَّمتها الكنيسة من الرُّسُل من جهة الغيرة والحرارة والجهاد في **الأعمال**، باعتبار أنها المعيار أو المقياس الأساسي الذي به يُعبِّر كل إنسان عن مستوى تقييمه للمسيح. فمدى الاهتمام والإخلاص في العمل الروحي في حياة كلِّ إنسان هو الذي يُعلن عن النور الداخلي الصادر من الالتصاق بالمسيح، وبالتالي يشهد للآب: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ» (مت ٥: ١٦).

لقد ورث الرُّسُل كلَّ حياة المسيح كشركاء أعمال وأفعال كانوا فيها شهود عيان؛ ورثوا الصوم الطويل كما رأوه وسمعوه: «هذَا الْجِنْسُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ» (مر ٩: ٢٩)، وسهر الليالي بطولها في الصلاة: «اِسْهَرُوا وَصَلُّوا» (مت ٢٦: ٤١)؛ ورثوا الجهاد في الصلاة بالسجود المُتواتر والعَرَق المُتصبِّب كقطرات الدم: «وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ ... فَقَالَ لَهُمْ (للتلاميذ): لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامٌ؟ **قُومُوا وَصَلُّوا**» (لو ٢٢: ٤٤–٤٦)؛ ورثوا الاحتمال والصبر على إهانة الرؤساء وخيانة الزملاء: «إِنْ كَانُوا قَدِ اضْطَهَدُونِي فَسَيَضْطَهِدُونَكُمْ» (يو ١٥: ٢٠)؛ ورثوا الخدمة في الأسواق بين المرضى والخطاة والمساكين؛ ورثوا الألم والمُعاناة والصليب كأغلى وأحلى ما ورثوه عن المسيح: «أَمَّا الْكَأْسُ الَّتِي أَشْرَبُهَا أَنَا فَتَشْرَبَانِهَا» (مر ١٠: ٣٩)، «فَأَجَابَ بُولُسُ: "مَاذَا تَفْعَلُونَ؟ تَبْكُونَ وَتَكْسِرُونَ قَلْبِي، لأَنِّي مُسْتَعِدٌّ لَيْسَ أَنْ أُرْبَطَ فَقَطْ، بَلْ أَنْ أَمُوتَ أَيْضًا فِي أُورُشَلِيمَ لأَجْلِ اسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ"» (أع ٢١: ١٣).

ورثوا كلَّ هذه الأعمال غير منفصلة عن المسيح. لقد حلَّ المسيح بالإيمان في قلوبهم لمَّا نالوا الروح القدس، فعملوا كلَّ أعمال المسيح حسب كلِّ ما وَعَدَ به حتى المعجزات وحتى الموت!!

وقد ورثت الكنيسة هذه الخبرة الرسولية الحيَّة، أي ورثت **"المسيح العامل في الرُّسُل"**. لذلك فعندما تسمع، أيها القارئ، بأهمية بل بحتمية الأعمال في الكنيسة

الأرثوذكسيَّة، فهذا معناه أنَّ الكنيسة تُركِّز على شخصية المسيح نفسه، باعتباره العامل فينا كما في الرُّسُل نفس الأعمال التي عملها لنا من أجل خلاصنا، لأن الكنيسة تؤمن تمامًا بما يعنيه بولس الرسول في قوله: «لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ» (في ٢: ١٣)؛ كما تثق أيضًا أن هذا يؤدِّي إلى قول بولس الرسول أيضًا: «فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللهِ» (١كو ١٠: ٣)، باعتبار أنَّ العمل ينبغي أن يكون معمولًا بالمسيح وفي حضرته، لأن عمل المسيح هو الوحيد الذي يؤدِّي حقًّا إلى مجد الله الآب، لأن **«الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ»** (في ٢: ١١).

وبهذا يتَّضح أكثر أن إيمان الكنيسة الأرثوذكسيَّة بالأعمال – هو في حقيقته – إيمانٌ بحياةٍ كاملة في المسيح، لها كل عمل المسيح وإرادته، بل وكل إرساليته وتعاطُفه مع كلِّ البشرية، وليس مجرَّد عملٍ محدود معمول بالإرادة البشرية لإراحة الذات.

فأهمية الأعمال في ذهن الكنيسة، تقوم على أساس أنَّ كلَّ الأعمال يلزم أن تنبع من إرادة المسيح وتكمل بقوَّته: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (في ٤: ١٣)؛ وحينئذ ينتهي حتمًا بمجد الله الآب، أي تُعلنه وتشهد له: «لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ» (مت ٥: ١٦).

ولذلك لا يمكن فصل مفهومَي "الإيمان" و"الأعمال" في الكنيسة الأرثوذكسيَّة عن شخص المسيح الحي، بصفته مصدر الإيمان ومصدر الأعمال في حياة الإنسان، باعتبار أنَّ الإيمان والأعمال يختصَّان بتمجيد الله الآب بالنهاية، الأمر الذي هو – في الحقيقة – من اختصاص المسيح وحده وصفة جوهرية له: «... الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ» (في ٢: ١١).

على أن القانون الذي يضبط صحة الأعمال **لتكون بالمسيح معمولة، ولتكون لمجد الله الآب،** هو الاقتداء الكامل بالمسيح في كلِّ قول وعمل وسلوك، حيث يستلهم الإنسان روح المسيح في كلِّ شيء بالصلاة، لتتصفَّى الأعمال من شوائب الإرادة والفكر البشريَّيْن، وتكون خالية من المُجاملة الكاذبة والرياء والتزييف والمُمالأة ومحبة الذات التي تجعل الأعمال ميتة بدون قوَّةٍ ولا ثمر.

(مارس ١٩٧٧)

أقوال الآباء

النبي الهارب والشعب التائب

للقدِّيس كيرلس الكبير[1]

(٣٧٥ – ٤٤٤م)

(١)

✠✝✠

لماذا أُرسِلَ يونان إلى شعبٍ وثني:

«وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ ... قُمِ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ فِيهَا، لأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ صُرَاخ شَرِّهُمْ إِلَيَّ» (يون ١: ١، ٢ سبعينية). ينبغي أن تُلاحظوا من خدمة ورسالة نبوَّة يونان مبدءًا هامًّا بأسلوب الطوباوي بولس الذي قال: «أَمِ اللهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضًا؟ بَلَى، لِلأُمَمِ أَيْضًا. لأَنَّ اللهَ وَاحِدٌ، هُوَ الَّذِي سَيُبَرِّرُ الْخِتَانَ بِالإِيمَانِ وَالْغُرْلَةَ بِالإِيمَانِ» (رو ٣: ٢٩، ٣٠). وإذ نتعلَّم ذلك بالاختبار، فإنَّ الرسول بطرس أيضًا يُعلن ذلك بقوله: «بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ الْوُجُوهَ، بَلْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ، الَّذِي يَتَّقِيهِ وَيَصْنَعُ الْبِرَّ مَقْبُولٌ عِنْدَهُ» (أع ١٠: ٣٤، ٣٥). فإنَّ الله هو الذي خلق الإنسان في البدء على صورته، ليكون مُكرَّمًا للفضيلة، لكي يعيش حياة قداسة مُباركة جديرة بالثناء، ولكي يتمتَّع بنصيبٍ وافرٍ من عطايا الله.

ولكن البشر ضلُّوا في الخطية، إذ أغوتهم خداعات الشيطان، وبالتالي فقد أصبحوا ملعونين وخاضعين للفساد. وكان المسيح قد دبَّر – إذ عَلِمَ بذلك قبل تأسيس العالم – أن يُصحِّح كلَّ شيء. لقد سرَّ الله الآب أن «يَجْمَعَ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ، مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا عَلَى الأَرْضِ» (أف ١: ١٠).

أَمَرَ الله يونان أن يذهب إلى نينوى التي كانت مدينة فارسيَّة، وكانت كما قال إرميا النبي: «أَرْضُ مَنْحُوتَاتٍ هِيَ» (إر ٥٠: ٣٨). وكانت على حدود بلاد اليهود، وقد استسلمت لعبادة الأصنام. فلماذا ترك الله المدن القريبة وأرسل يونان إلى تلك المدينة الوثنية التي كانت كما

(1) Commentary on the Twelve Prophets, Vol. 2, St. Cyril of Alexandria, *Commentary of Jonah*, p. 147.

قال ناحوم النبي: «...الزَّانِيَةِ الْحَسَنَةِ الْجَمَالِ صَاحِبَةِ السِّحْرِ الْبَائِعَةِ أُمَمًا بِزِنَاهَا» (نا ٣: ٤)! أرى أنَّ الله كان له قَصْدٌ نافع في أن يُبرهن حتى للمُتغرِّبين عنه أنه يمكنهم أن يُجتذَبوا، في الوقت المناسب، إلى معرفة الحقِّ حتى ولو كانوا غارقين في عنادهم.

قوَّة تأثير كلمة الله:

وكما تَرَوْنَ، فإنَّ كلمة الله قادرةٌ على حثِّ الناس أن يتعلَّموا ما يجعلهم حكماء. وكما قال الرب لإرميا النبي: «هَأَنَذَا جَاعِلٌ كَلاَمِي فِي فَمِكَ نَارًا، وَهذَا الشَّعْبَ حَطَبًا، فَتَأْكُلُهُمْ»، وأيضًا: «أَلَيْسَتْ هكَذَا كَلِمَتِي كَنَارٍ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَكَمِطْرَقَةٍ تُحَطِّمُ الصَّخْرَ؟» (إر ٥: ١٤؛ ٢٣: ٢٩). وهكذا فلم يكن بدون هدف أن يُرسَل يونان إلى أهل نينوى، بل إنَّ ذلك حدث لكي يكون كبشير لرأفة الله المُتأصِّلة فيه، والتي يمكن أن تُمنَح حتى للشعب الذي ضلَّ بجهالته.

وفي نفس الوقت، فقد كانت في هذا القول – من فم إرميا النبي – إدانة لشعب إسرائيل، لأنهم كانوا مُدانين بكونهم مُتمردين غير مُستجيبين لناموس الله وغير مُبالين به. ومع ذلك، فإنَّ أهل نينوى رجعوا فورًا إلى الشعور بالالتزام بالتوبة بإنذارٍ واحدٍ للنبي، رغم أنَّ هذا الشعب كان يعيش في خداع الوثنية؛ في حين أنَّ شعب إسرائيل استخفَّ بموسى والأنبياء، ثم قاوم المسيح مُخلِّصنا، رغم أنه أيَّد تعاليمه بالمعجزات، حيث كان يجب أن يقتنعوا بسهولة أنه هو الله الذي صار إنسانًا ليُخلِّص الجميع، وهم قَبْل الجميع. ولذلك قال عنهم الرب: «رِجَالُ نِينَوَى سَيَقُومُونَ فِي الدِّينِ مَعَ هذَا الْجِيلِ وَيَدِينُونَهُ، لأَنَّهُمْ تَابُوا بِمُنَادَاةِ يُونَانَ، وَهُوَ ذَا أَعْظَمُ مِنْ يُونَانَ هُهُنَا!» (مت ١٢: ٤١). وما هو الأمر الأعظم في المسيح من يونان؟ ففي حين أنَّ الرب هدَّد أهل نينوى بأن تنقلب مدينتهم، فإنَّ الربَّ يسوع أدهش اليهود بعجائبه التي تفوق الوصف، والمعجزة التي تُرافق الرسالة هي دائمًا وسيلة لتوصيل الناس إلى الإيمان.

لماذا هرب يونان؟ ولماذا إلى ترشيش؟

هرب يونان إلى ترشيش من وجه الرب. (وترشيش هي التي تُدعَى في أيام القدِّيس كيرلس: "تارسي" في كيليكية. كما يُرجِّح البعض أنها هي "طرسوس" موطن شاول الطرسوسي/ بولس الرسول). ولكن لماذا هرب إلى ترشيش؟ ربما لأنه كانت لديه فكرة أنَّ قوة الله كانت قاصرة على أرض إسرائيل، ولذلك فقد غادر اليهودية إلى إحدى المدن اليونانية.

ويمكننا أن نتعرَّف على نفور يونان من تلك الإرسالية وعدم تحمُّسه لها من خوفه من عدم تحقيق الله لإنذاره بمُعاقبة أهل نينوى، وذلك من كلامه هو، إذ قال: «آهِ يَا رَبُّ، أَلَيْسَ هذَا كَلاَمِي إِذْ كُنْتُ بَعْدُ فِي أَرْضِي؟ لِذلِكَ بَادَرْتُ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى تَرْشِيشَ، لأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ وَرَحِيمٌ بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَنَادِمٌ عَلَى الشَّرِّ. فَالآنَ يَا رَبُّ، خُذْ نَفْسِي مِنِّي، لأَنَّ مَوْتِي خَيْرٌ مِنْ حَيَاتِي» (يون ٤: ٢، ٣).

ولكن الرب أرسل ريحًا شديدة على البحر حتى صارت السفينة في خطر، وارتعب الملَّاحون وصرخوا كلٌّ واحدٍ إلى إلهه، وطرحوا الأمتعة في البحر لتخفَّ الحمولة عن السفينة. أمَّا يونان فقد نزل إلى جوف السفينة ونام نومًا ثقيلًا. فجاء إليه رئيس النوتية وأيقظه قائلًا: «مَا لَكَ نَائِمًا؟ قُمِ ادْعُ إِلَى إِلهِكَ، لَعَلَّهُ يُنْقِذُنَا»! وإن كان يبدو أنه نام هكذا قبل هبوب العاصفة، إلَّا أنَّ ذلك دلَّ على عدم مُبالاته بإرساليته، وأنَّ اهتمامه انحصر في ذاته، ولكنه لم يتجاهل واجبه.

اعتراف يونان بخطيئته:

ولمَّا ألقى الملَّاحون قرعتهم لمعرفة «بِسَبَبِ مَنْ هذِهِ الْبَلِيَّةُ ... وَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونَانَ» (١: ٧). وكان ذلك جزءًا من خطة الله، إذ اكتشفوا الشخص الذي ظنَّ أنه يمكنه أن يهرب من حضرة الله. ولمَّا سألوه عن أمره، اعترف أنه هاربٌ من وجه الرب. فسألوه عمَّا يفعلونه به ليسكن البحر الذي كان يزداد اضطرابًا، فاعترف بخطيئته وقال لهم: «خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنْكُمْ، لأَنِّي عَالِمٌ أَنَّهُ بِسَبَبِي هذَا النَّوْءُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ». ولكنهم «جَذَفُوا لِيُرَجِّعُوا السَّفِينَةَ إِلَى الْبَرِّ»، لأنهم أرادوا أن يُنقذوا خادم الله ويأتوا به سالمًا إلى الشاطئ، ولكنهم «لَمْ يَسْتَطِيعُوا، لأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابًا عَلَيْهِمْ». ثم «صَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ وَقَالُوا: آهِ يَا رَبُّ، لَا نَهْلِكْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِ هذَا الرَّجُلِ، وَلَا تَجْعَلْ عَلَيْنَا دَمًا بَرِيئًا ... ثُمَّ طَرَحُوهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَقَفَ الْبَحْرُ عَنْ هَيَجَانِهِ» (١: ١٤،١٥).

ولماذا سألوه عن موطنه الأصلي؟ لأنهم أرادوا، حسب رأيي، أن يعرفوا مَن هو الإله الذي أغضبه؟ فلمَّا قال لهم: إنه عبراني وإنه خائفٌ من إله السماء، تحقَّقوا من أنه هرب من وجه الله، لماذا؟ ذلك لأنَّ اليهود غير مسموح لهم أن يتركوا بلادهم المُخصَّصة لهم ويدخلوا مدنًا وثنيَّة ... ولمَّا هدأ البحر بمجرد أن طرحوا يونان فيه، يقول الكتاب: «فَخَافَ الرِّجَالُ مِنَ الرَّبِّ خَوْفًا عَظِيمًا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَةً لِلرَّبِّ وَنَذَرُوا نُذُورًا» (١: ١٦).

وهكذا انتفعوا من هذا الحدث بكونهم آمنوا أنه يوجد في الكون إلهٌ واحد، وقدَّموا له ذبيحتهم.

كيف عاش يونان
في جوف الحوت ثلاثة أيام؟

«وَأَمَّا الرَّبُّ فَأَعَدَّ حُوتًا عَظِيمًا لِيَبْتَلِعَ يُونَانَ». ونحن لا ندَّعي أنَّ الله يأمر الحيوانات كما يفعل معنا أو مع الملائكة. فإذا قيل إنه يأمر الحيوانات أو العناصر، فهذا يُشير إلى مشيئته كقانونٍ وأَمْر، فنحن نرى أنَّ كلَّ شيء يخضع لإرادته. وبالتالي فإنَّ إرادته الصالحة التي جعلت الحوت يبتلع يونان لم تُسبِّب ضررًا للنبي، حيث إنه ظلَّ «فِي جَوْفِ الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ» (١: ١٧).

هذه الحقيقة ربما بَدَت غير مُقنعة للبعض حتى أنهم لا يُصدِّقون أنه مكث حيًّا ثلاثة أيام في جوف الحوت، وكيف أنَّ جسده لم يتحطَّم عند ابتلاعه؟ وكيف أمكنه أن يتحمَّل حرارة جسم الحوت ورطوبة أحشائه الشديدة؟ وكيف أنَّ الحوت لم يهضمه كبقية الأطعمة؟ ونُجيب على ذلك: بأنَّ القوَّة الإلهيَّة يمكنها أن تُغيِّر طبيعة الكائنات الحيَّة بسهولة إلى أيَّة حالة يختارها الله. ونحن نعلم أنَّ الجنين في رَحِم أُمِّه يكون غاطسًا في رطوبة طبيعية وكأنه مدفونٌ في أحشاء أُمِّه، ولا يمكنه أن يتنفس، ولكنه يظل حيًّا ويتغذَّى بطريقةٍ دبَّرها الله. إنَّ تدابير الله لا يمكن أن يُدركها أحدٌ بسهولة.

وإذا اتَّخذنا يونان النبي كنموذج للخدمة التي تُدرَك في المسيح، فيمكن القول إنَّ العالم كله، منذ آدم، كان مُعرَّضًا للخطر، وإنَّ الجنس البشري كان متأثِّرًا بعواصف وأمواج الخطية الهائجة، والمسرَّات الكئيبة التي لا تُطاق كانت تغمر البشر؛ إذ كان الجنس البشري مُهدَّدًا بالفساد وتضربه رياح عنيفة، أي الشيطان وقُوَى الشر الخاضعة له والتي تعمل معه. فأشفق علينا الخالق وأرسل ابنه لكي يُهدِّئ العاصفة، وهكذا خلَّصنا بموت المسيح. وإذ هدأت العاصفة واستقرَّت الأمواج، ساد السلام، وتمتَّعنا بجوٍّ روحيٍّ صافٍ منذ أن تألَّم المسيح من أجلنا. وذلك كما إنَّ رُسُل المسيح عندما صدمتهم الرياح العاتية والأمواج، أيقظوا الربَّ يسوع لكي ينقذهم؛ فقام وانتهر الرياح والبحر وأنقذهم. وهكذا حدث مع الجنس البشري، فإننا بالمسيح قد تحرَّرنا من الموت والفساد والخطية والأهواء البشرية، وامتلأت حياتنا بالسلام.

«دَعَوْتُ مِنْ ضِيقِي الرَّبَّ، فَاسْتَجَابَنِي»:

عاش يونان في جوف الحوت كمنزلٍ له، ودون أن يشعر بأيِّ نوعٍ من المؤثِّرات الرديئة على الجسد أو الذهن، شعر بمعونةٍ إلهيَّة، إذ عَلِمَ أنَّ الله خيِّر. ومن الناحية الأخرى، فإذ لم يكن على دراية بأن ما حدث كان نتيجةً لنفوره من خدمته؛ فقد اتَّجه إلى الصلاة ناطقًا بمشاعر الشكر مُعترفًا بمجد الله مُخلِّصه. وقوله: إنَّ الربَّ استجاب له، فقد تحقَّق من ذلك مُسْبقًا، في رأيي، بروحٍ نبويَّة. وقوله: «صَرَخْتُ مِنْ جَوْفِ الْهَاوِيَةِ»، الذي كان يقصد به معدة الحوت، فقد قارَن هذا الوحش بالجحيم والموت، إذ عرف كيف يقتل ضحيته ويلتهمها بوحشية!

«طَرَحْتَنِي فِي الْعُمْقِ فِي قَلْبِ الْبِحَارِ، فَأَحَاطَ بِي نَهْرٌ. جَازَتْ فَوْقِي جَمِيعُ تَيَّارَاتِكَ وَلُجَجِكَ، فَقُلْتُ: قَدْ طُرِدْتُ مِنْ أَمَامِ عَيْنَيْكَ». إنه يُرجِع هذا الحدث إلى نعمةٍ من فوق، وينسب إلى الأحكام الإلهيَّة إمكانية الإنقاذ بسهولة من كلِّ ضيقة. ويقول إنه كان في عمق البحر وفي صخب المياه التي تجيش وتُغرقه كأمواجٍ غامرة، وقد أدرك في تلك المحنة أنه كان يُعاني من الغضب الإلهي، وأنه قد صار يائسًا من إنقاذه، وهذا شعورٌ مُرعب. ثم قال: «هل حقًّا لن أعود وأنظر إلى هيكل قدسك؟» (٢: ٤ سبعينية). لقد كان على درايةٍ أنه قد حُفِظَ بقوَّة الله الذي أعانه على الحياة في جوف الوحش مِمَّا يفوق التصديق. وربما كان يشكُّ إن كان الوحش سيقذف به إلى ضوء النهار مرةً أخرى. ومن الناحية الأخرى، فقد اعتبر أنَّ رجوعه إلى هيكل الله لكي يُمجِّد ذاك الذي أنقذه، أمرًا شهيًّا ويحتاج إلى صلاةٍ لكي يحصل على تلك النعمة.

«قَدْ اِكْتَنَفَتْنِي مِيَاهٌ إِلَى النَّفْسِ. أَحَاطَ بِي غَمْرٌ. الْتَفَّ عُشْبُ الْبَحْرِ (أو الحلفاء) بِرَأْسِي. نَزَلْتُ إِلَى أَسَافِلِ الْجِبَالِ ("هبطت رأسي إلى شقوق الجبال" – سبعينية). مَغَالِيقُ الأَرْضِ عَلَيَّ إِلَى الأَبَدِ ("هبطتُ إلى عمق الأرض التي قضبانها هي المغاليق الأبديَّة" – سبعينية). ثُمَّ أَصْعَدْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ حَيَاتِي، أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهِي ("لكنك أيها الرب إلهي سترفع حياتي من الهاوية" – حسب الترجمة العربية المشتركة؛ أو "دَع حياتي المُحطَّمة تتجدَّد" – سبعينية)» (٢: ٥،٦).

إذ شعر يونان أنَّ الربَّ أنقذه حتى تلك اللحظة، فكان ينوي أن يُقدِّم للربِّ أروع أناشيد الشكر. وحسب رأيي، فإنَّ كلمة "المغاليق" أو "القضبان"، تعني أنها غير قابلة للكسر، فلا

يتغلَّب عليها أحد. وكونه لم يَمُت ولم يتألم من أيِّ شيء يتعلَّق بالموت أو الفساد، فقد ترجَّى، بشعوره النبوي، أن يُنقذه الله بإخراجه من جوف الحوت كما من الهاوية. ثم قال: «حِينَ أَعْيَتْ فِيَّ نَفْسِي ذَكَرْتُ الرَّبَّ، فَجَاءَتْ إِلَيْكَ صَلاَتِي إِلَى هَيْكَلِ قُدْسِكَ (أو "لعل صلاتي تأتي إليك إلى هيكلك المقدَّس" – سبعينية)» (٢: ٧).

إنَّ الضيقات ليست بلا منفعة للذين يُجرَّبون بها، ولذلك قال بولس الرسول: «... الضِّيقَ يُنْشِئُ صَبْرًا، وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةً، وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءً، وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي» (رو ٥: ٣ – ٥). فلمَّا تعرَّضت حياة يونان للخطر وبلغت ضيقته إلى أقصاها، التجأ إلى شيء نافع له، وليس مثل الذين يُفسِحون المجال لليأس؛ بل ذَكَر ذاك الذي يُنقذ. فصرخ إليه عاليًا، إذ كان على درايةٍ بقدرته.

«الَّذِينَ يُرَاعُونَ أَبَاطِيلَ كَاذِبَةً يَتْرُكُونَ نِعْمَتَهُمْ. أَمَّا أَنَا فَبِصَوْتِ الْحَمْدِ (والاعتراف) أَذْبَحُ لَكَ، وَأُوفِي بِمَا نَذَرْتُهُ. لِلرَّبِّ الْخَلاَصُ ("أوفي بما نذرته لك أيها الرب خلاصي" – سبعينية)» (٢: ٨،٩). أي إنَّ الذين يُقدِّمون ولاءهم للآلهة الكاذبة ينبذون الرحمة التي كان ينبغي أن يطلبوها من الرب. أمَّا أنا فأعلم أنك طيِّبٌ ورؤوف، ولذلك فإنني أعترف لك وأُقدِّم لك تسابيح مثل بخورٍ عَطِر، أي ذبائح شُكر روحية. وأوفي لك نذور خلاصي بكلِّ غيرة، أي تلك التي سبَّبت إنقاذي وكانت نافعة لحياتي. وهذا كان استجابةً للخدمة النبويَّة التي يريدها الله حيث زال كل نفور وجُبن. ولعل ذلك كان رمزًا للمسيح الذي في ضيقه قال للآب: «يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ» (مت ٢٦: ٣٩). وهنا نتذكَّر قول الرسول بطرس مُستشهِدًا بما قاله داود النبي: «لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ وَلَا تَدَعُ قُدُّوسَكَ يَرَى فَسَادًا» (أع ٢: ٢٧). وهكذا فإنَّ جسد يونان أيضًا لم يَرَ فسادًا، وبعد ثلاثة أيام رجع إلى الحياة؛ تمامًا كما إنه كان يستحيل أن يخضع الرب، الذي هو **الحياة** بطبيعته، لقيود الموت.

«وَأَمَرَ الرَّبُّ الْحُوتَ فَقَذَفَ يُونَانَ إِلَى الْبَرِّ» (٢: ١٠). وهكذا تلقَّى الحوت الأمر مرةً أخرى بقوَّةٍ إلهيَّة لا توصف لتنفيذ إرادة الله، فحرَّر من أحشائه النبي الذي انتفع من المحنة، أو بالحري تشجَّع بتلك الخبرة واكتسب معرفةً صافيةً بأنه من المُخاطرة أن يُقاوِم الأحكام الإلهيَّة!

(يتبع)

بمناسبة تذكار
دخول المسيح الهيكل

(١٥ فبراير / ٨ أمشير)

«الآنَ يَا سَيِّدي ...»

(لو ٢٩: ٢ – ٣٢)

سمعان الشيخ هو السابق ليوحنا السابق:

إنْ كان القدِّيس يوحنا المعمدان هو آخر أنبياء العهد القديم وأول رُسُل العهد الجديد، كأعظم مواليد النساء بحسب وصف مُخلِّصنا الصالح له تحديدًا، وهو السَّابق الصَّابغ بحسب وصف التقليد الآبائي في الكنيسة؛ فإنَّ البار سمعان الشيخ يُعتبَر هو أيضًا السَّابق للسَّابق، وله معه خيطٌ رقيقٌ مشترك، فهو قد أكمل به الرب كافة وصايا الناموس كوصية الربِّ لموسى عبد الله، الذي أوصاه بافتداء البِكْر بذبيحة أو تقدمة قائلًا: «قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي» (خر ١٣: ٢). وبهذا تمَّم الربُّ يسوع كلَّ وصايا الناموس، كبِكْر الخليقة الجديدة، ووحيد الآب الذى سيفتدي كلَّ العالم بذبيحة نفسه. ولهذا فقد تلقَّفت الكنيسة تسبحة سمعان الرائعة كأعلى صورة من التسبيح النبوي المُلهَم، وصارت تتغنَّى بها في كلِّ صلواتها وطقوسها، الجمهورية والفردية، وهي شاخصةٌ نحو السماء وتئنُّ في فرحٍ ورجاء قائلة: "متى يا رب تُطلق عبدك بسلام؟ فقد أبصرت عيناي خلاصك، فأَتمِم وعدك وكمِّل عهدك".

الارتباط بين رؤية سمعان للربِّ، وبين مُعاينة كلِّ إنسانٍ للربِّ:

ويربط القدِّيس أوغسطينوس (٣٥٤ – ٤٣٠م) بين رؤية سمعان الشيخ للربِّ قلبيًّا وعينيًّا، وبين مُعاينة كلِّ إنسانٍ للربِّ بعينَي قلبه، حتى أنه يطلب أن يُطلق الربُّ نفسَه بسلام نحو الأبديَّة، لا ليحمل الرب بين ذراعيه في حضنه، بل ليكون هو نفسه معه في عرشه الأبدي كلَّ حين، فيقول:

[سمعان الشيخ البار قد عاين الرب بقلبه عندما أدرك الطفل أمامه. رآه بعينيه لأنه أخذه بين ذراعيه، فقد رآه بطريقتين: **أولًا:** إنه أدرك ابن الله بإعلان، **وثانيًا:** إنه تأمَّل وليد العذراء بين يديه وقال: "الآن يا سيِّد". فلاحظ قوله: "أبصرتا"، بمعنى أنه قد حُفِظ حيًّا حتى عاين بنفسه ما قد حَفظه بقلبه بالإيمان. لقد أَخَذ الطفل واعتنقه، "فلما رآه" بمعنى أنه أدرك الرب مُتجسِّدًا. وهذا ما سوف يُستعلَن لكلِّ بشرٍ بمعرفته

الخلاص الذي عمله الله مع كلِّ إنسان][1].

مُعاينة الربِّ بالروح الساكن فينا:

ويؤكِّد العلَّامة أوريجانوس (١٨٥ – ٢٥٤م) ذات المغزى الروحي، وذلك برفع الإنسان قلبه فوق حدود الجسد ليُعاين الرب بالروح الساكن فيه، ما دام قد تسامى عن الجسد ورباطاته، ليسمو فيُعاين مجد الرب بوجهٍ مكشوف، ليس الجسد المادي، لأن الجسد لا يفيد شيئًا، لكن هيكل جسد الرب الروحي الذي هو الكنيسة، فيقول:

[لقد عرف سمعان أنه لا يمكن لإنسانٍ أن يُحَرَّر من سجن الجسد بوعد الحياة الأبديَّة إلَّا بواسطة الممسوح من الله الذي بين ذراعيه. وبقوله: "أطلق عبدك بسلام"، يعني أنه ما دمتُ لا أحتوي المسيح بين ذراعيَّ فلن أتحرَّر من قيد الجسد. وهذا لا ينطبق على سمعان فقط، بل على كلِّ إنسان. فأيُّ أحد يُغادر هذا العالم تاركًا سجن هذا الجسد ومعتقل الذين في القيود لينطلق مُتحرِّرًا، لا بد أن يحتوي يسوع بين ذراعَي قلبه ويحتضنه ويحوزه في صدره. وعندئذ، يمكنه أن يتمتع بالوجود في ذاك المكان بفرحٍ عظيم، حيث يكون مع الربِّ كلَّ حين. لقد كان دخول سمعان الهيكل ليس مُصادفة، لكن قاده روح الله. وأنت إن أردتَ أن تقتني يسوع وأن تحتضنه بين ذراعيك تاركًا سجن الجسد والشهوات، فلا بد أن تجتهد بكلِّ وسيلة أن تمسكه ولا ترخِه، وها أنت في هيكل الرب – أي الكنيسة – وهي الهيكل المُشيَّد بالحجر الحيّ][2].

سمعان الشيخ لم يُرشده أحد بل الروح القدس:

أمَّا الأب متى المسكين، فيرى أنَّ سمعان الشيخ، وقد بلغ من العمر ما قد أكفَّ عينيه عن أن تبصرا نور رائعة النهار، فقد رأى عَبْر الدهور ما سوف يُنير بصيرة كلِّ الأجيال إلى أبد الآبدين، فيقول:

[لمَّا بلغ سمعان لحظة الإحساس بالروح أنَّ الآتي[3] أتى، كفَّ عن الدموع والتنهُّد وسحب عصاته وذهب يتوكَّأ عليها حتى بلغ أعتاب الهيكل. والقول: إنه "أتى

---

(1) Augustine, *Sermon* 277.177, WSA 3 8: 44.

(2) Origen, *Homilies on the Gospel of Luke* 15, 1-3, FC 94:62-63.

(٣) "**الآتي**" من ألقاب المسيَّا المُنتَظَر: «فَدَعَا يُوحَنَّا اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى يَسُوعَ قَائِلًا: "أَنْتَ هُوَ **الآتِي** أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟" فَلَمَّا جَاءَ إِلَيْهِ الرَّجُلاَنِ قَالاَ: يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ قَدْ أَرْسَلَنَا إِلَيْكَ قَائِلًا: أَنْتَ هُوَ **الآتِي** أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» (لو ٧: ١٩ – ٢٠).

بالروح" "ἦλθεν ἐν τῷ πνεύματι"، تُفيد حالة دخول في اختطافٍ، حيث يُساق الإنسان بالروح، أو يُقاد حيث لا يعلم. وكان هذا هو المُحتَّم حتى يعثر على الطفل وسط مئات الأطفال؛ حيث ساقه المجال الروحي حتى أدخله إلى الربِّ يسوع. فكان أول إنسان يتعرَّف على المسيح دون أن يُرشده أحد، وكان أول إنسان يرى الخلاص رؤية العين! وأول إنسان يمتدُّ بالخلاص نورًا إلى كلِّ العالم][٤].

ظِلُّ الصليب يُظلِّل على نبوءة سمعان الشيخ:

أمَّا القدِّيس أمفيلوخيوس[٥]، فيرى أنَّ الصليب الذي أتى الرب خصِّيصًا لساعته، كان منصوبًا على ربوة الجلجثة منذ لحظة التجسُّد بانتظار احتضان الرب له، كي يستوعب كلَّ البشرية ليخطفها من براثن المُكايد لتكون في حضن الآب باستحقاق آلام الرب الخلاصيَّة، فيقول:

[في قول سمعان: «وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ»، هو لأن الربَّ وُضِعَ لسقوط مَنْ لم يؤمنوا من اليهود، وقيام مَنْ آمن من الأمم. «وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ»، وهي علامة الصليب. لماذا؟ لأن كثيرين مِمَّن لم يؤمنوا به، أنكروه على الصليب وسخروا منه بالأقوال والأعمال، وأعطوه خلًّا ليشرب، ومُرًّا في عطشه، وضفروا إكليلًا من شوك ووضعوه على رأسه، وثقبوا جنبه بالحربة، وضربوه وشتموه بأقذع السباب: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ! قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ!» (مت ٢٧: ٤٢،٤٣)][٦].

الخلاص نورٌ تجلَّى للأمم، ومجدٌ لشعب إسرائيل:

ويسترسل القدِّيس كيرلس الإسكندري (٣٧٦ – ٤٤٤م) ليشرح كيفية امتداد الخلاص للأمم، كما هو لِمَن يؤمن من اليهود: للأمم نورٌ يُجلي الأبصار، ولليهود مجدٌ طال ترقُّبه. وقد حَمَل لواء هذا المجد تلاميذ الرب القدِّيسون، وهم بالحقِّ ضياء المسكونة: «والْفَاهِمُونَ يَضِيئُونَ كَضِيَاءِ

---

(٤) الأب متى المسكين،"الإنجيل بحسب القديس لوقا: دراسة وشرح وتفسير"، الطبعة الرابعة، ص ١٣٩، مطبعة دير القديس أنبا مقار.

(٥) القدِّيس أمفيلوخيوس (٣٤٠ – ٣٩٤م) أسقف أيقونية ٣٧٣م، من آباء مجمع القسطنطينية المسكوني. وهو ابن خال القدِّيس غريغوريوس النزينزي. أرسل له القدِّيس باسيليوس الكبير رسالة عن الروح القدس عام ٣٧٥م، حُفِظَت كاملة لدينا حتى الآن. و قد عقد مجمعًا سنة ٣٧٦م ضد أفنوميوس ومقدونيوس عدوَّي الروح القدس. وقد رافق القدِّيسَيْن غريغوريوس اللاهوتي وغريغوريوس النيسي في مجمع القسطنطينية عام ٣٨١م.

(6) Amphilochius, *Oration 2.8 On the Presentation of the Lord* , SSGF 1:175-79; CPG 3:64-67.

الْجَلَدِ وَالَّذِينَ رَدُّوا كَثِيرِينَ إِلَى الْبِرِّ كَالْكَوَاكِبِ إِلَى أَبَدِ الدُّهُورِ» (دا ١٢: ٣)، فيقول:

[إنَّ سرَّ المسيح قد أُعِدَّ من قَبْل إنشاء العالم وأُظهِر في آخر الأيام. وقد صار نورًا للعالم السالك في الظلمة، والساقط في يدَي إبليس: «الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ» (رو ١: ٢٥). بل، وفوق ذلك، يعبدون التنِّين صانع الشرور وجنوده الرجسين، الذين يُعطونه الكرامة بدلًا من ضابط الكل. ورغم ذلك، فالآب الحنون يدعوهم لمعرفة ابنه الحبيب النور الحقيقي. فالمسيح هو نورٌ أُعلِن للأمم، ولكن أيضًا هو مجدٌ لإسرائيل. وحتى لو لم يُطِعْهُ البعض أو لم يُدركوا صدق البشارة، فالبقية ستخلُص، وينالون المجد عن طريق المسيح الرب؛ حيث باكورة هذه البقيَّة هم – بالطبع – التلاميذ القدِّيسون ضياء المسكونة][٧].

مقاومة الهراطقة لسرِّ التجسُّد:

ويُعدِّد العلَّامة أوريجانوس (١٨٥ – ٢٥٤م) كيف قاوم الهراطقة سرَّ التجسُّد بفكرهم الضال، الذي انحرف عن فكر التسليم الآبائي، ليُقاوم عمل الخلاص الذي أتى الربُّ من أجل تكميله، وكيف كان إيمان الكنيسة مؤسَّسًا على حجر الزاوية الرب يسوع الابن الكلمة المُتجسِّد، وعليه قام تدبير الخلاص لكلِّ العالم، فيقول:

[إنَّ كثيرًا من الأمور التي وردت برواية ميلاد المُخلِّص تحمل عدَّة مضادات وأمورًا شديدة الصعوبة فيما يختصُّ بالعذراء الأُم. «وَلِعَلَامَةٍ تُقَاوَمُ»، فنجد أن أتباع مرقيان الهرطوقي يدَّعون بخصوص الميلاد من عذراء، أنَّ الربَّ لم يولد من امرأة. والأبيونيون يدَّعون أنَّ الربَّ وُلِدَ من زيجة بشرية، أي رجل وامرأة كأيِّ إنسان. وآخرون يدَّعون أنه لم يتجسَّد، لكنه نزل هكذا من السماء. أمَّا نحن فإيماننا الرسولي مؤسَّسٌ على تسليم الرب، من خلال الوحي المقدَّس من جيلٍ إلى جيل، فنؤمن أنَّ له جسدًا على مثالنا كي يفدينا من الخطية فيُقيمنا منها بقيامته. ورغم أن الأنبياء سبق أن تنبَّأوا عن «عَلَامَةٍ تُقَاوَمُ»، فهذا لا يعني أنَّ المؤمنين به سوف يُجدِّفون على هذه العلامة، حاشا][٨].

الربُّ يسوع هو الخلاص لكلِّ مَنْ يؤمن به:

أمَّا القدِّيس باسيليوس الكبير (٣٢٩ – ٣٧٩م)، فيربط ربطًا مُحكمًا بين الربِّ كمُخلِّص

(7) Cyril of Alexandria, *Commentary on Luke*, *Homily* 4, CGSL 60-61.

(8) Origen, *Homilies on the Gospel of Luke*, 17. 4-5, FC 94. 72-73.

للبشر، وبين أنه هو ذاته الخلاص لكلِّ مَنْ يؤمن به، فاسم الرب يسوع هو كفعله، فيه النجاة والخلاص لكلِّ أحد، فيقول:

[علَّمنا الكتاب أن ندعو المسيح أنه هو خلاصنا، كقول سمعان: «لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلَاصَكَ»، لهذا فلنُخضِع ذواتنا للربِّ لأنه هو خلاصنا. وهذا الخلاص ليس مجرَّد قوَّة جامدة، تُخلِّصنا من وهننا أو أمراضنا الجسدية لتُعطينا الصحة، بل: «لأَنَّكَ كُنْتَ مَلْجَأً لِي بُرْجَ قُوَّةٍ مِنْ وَجْهِ الْعَدُوِّ» (مز ٦١: ٣). لكن الابن وحيد الآب هو ذاته إلهنا ومُخلِّص العالم، يعضدنا في ضعفنا، ويرأب كسرنا، ويُعالج إحباطاتنا تلك التي تلمُّ بنا من التجارب][9].

السيف الذي سيجوز في نفس العذراء مريم:

يُبدِع القدِّيس أمبروسيوس (٣٣٩ – ٣٩٧م)، بإلهامٍ عجيب، متأملًا في ما هية السيف الذي سيجوز في نفس العذراء أُمِّ الإله؛ فيرى أنه كلمة الله، السيف ذو الحدَّين الذي نفذ في كيانها مُقدِّسًا إيَّاها وجاعلًا إيَّاها بالحقِّ مثالًا لكلِّ البشرية: «اللهَ اخْتَارَكُمْ مِنَ الْبَدْءِ لِلْخَلَاصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ الْحَقِّ» (٢تس ٢: ١٣)، فيقول:

[«وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ»، لم يذكر التقليد أو الكتاب أنَّ مريم تعرَّضت لأيِّ أذًى جسدي أو عنف حال مغادرتها هذه الحياة؛ لأن الجسد عادة هو ما يتعرَّض للسيف المادي وليس النفس. لذلك فإنَّ هذا يعني أنَّ مريم لم تكن غير موقِنة للسرِّ الإلهي، لأن: «كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» (عب ٤: ٢). فالربُّ يكشف أفكار القلب ونيَّاته، فكلُّ شيء مكشوف أمام عينيه. أعني أنَّ ابن العذراء، ابن الله، هو الذي كل أفكار ضمائرنا مُعلَنة أمامه][10].

السلام لكَ أيها القدِّيس سمعان الشيخ، يا مَنْ بعينيك الكليلتَيْن، رأيتَ ما عَجَزَت أجيال البشرية أن تراه، وهي رازحة في الظلمة وظلال الموت في أصفاد الخطية؛ وأريتنا نور العالم وشمس البرِّ التي لن تغرب، لأنها هي يوم الرب الذي يدوم.

(9) Basil the Great, *Homilies on Psalm* 61:2, FC 46:343.

(10) Ambrose, *Exposition of the Gospel of Luke* 2.61, SSGF 1:180; CSEL 32 4: 74; EHG 60.

بمناسبة
الصوم المقدَّس

عظة عن

موسم الصوم الكبير

للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم[1]

(٣٥٤ – ٤٠٧م)

فلنفرح بالصوم:

❖ إنني مسرورٌ ومبتهجٌ أن أرى كنيسة الله مُزيَّنةً اليوم بهذا الحشد من أبنائها، وأن أراكم جميعًا آتين معًا بفرحٍ عظيمٍ. أقصد بذلك أنني عندما أنظر إلى وجوهكم المُنيرة، أعتَبِر ذلك كعلامةٍ لا تخيب على الرضا الذي تشعرون به في قلوبكم، كما يقول الحكيم: «عندما يفرح القلب يكون المظهر مُبتهجًا» (أم ١٥: ١٣سبعينية).

وهكذا بالطبع نهضتُ أنا نفسي هذا الصباح بحماسٍ أكثر من العادة، حيث إنَّ عليَّ أن أُشارككم هذه السعادة الروحية، كما أردتُ أن أصبح مُبشِّرًا لكم باقتراب الصوم الكبير الذي يمكنني القول إنه هو العلاج لنفوسكم. ها أنتم تَرَوْنَ أنَّ سيِّدنا كلنا، كأبٍ محبوبٍ، أراد لنا علاجًا بواسطة الصوم المقدَّس برغبته أن نتنقَّى من الخطايا التي ارتكبناها بمرور الزمن.

إذن، فلا يكن أحدٌ مُكتئبًا أو مُتضجِّرًا، بل فليتهلَّل ويكون فَرِحًا ويُمجِّد راعي نفوسنا الذي يُظهِر لنا الطريقة الأفضل، وليرحب باقتراب الصوم الكبير بفرحٍ عظيم. ولنرحب باقترابه بمثل تلك الحميَّة. دعوا الوثنيين يُدلِّلون على أعيادهم واحتفالاتهم بالسُّكر وكلِّ أنواع السلوك والمُخزيات التي يُحلِّلونها لأنفسهم، والتي تُناسبهم لكي يتمرغوا فيها.

أمَّا كنيسة الله فلتُميِّز أعيادها بالصوم، وتتغاضى عن شهوة الأكل وجميع القُوَى المُصاحِبة لها. فهذا، في الحقيقة، هو العيد الحقيقي، حيث يوجد خلاصٌ للنفوس، وحيث يوجد سلامٌ وانسجامٌ، وحيث توضَع مصاعب الحياة اليومية جانبًا، وتكون الحياة اليومية في راحةٍ داخليةٍ وهدوءٍ كُلِّي، وبها محبة وفرح وسلام ولطف وألوف من الصالحات الأخرى عِوَضًا عن ذلك السلوك الآخر.

---

(1) The Fathers of the Church, Vol. 74, p. 20.

الكنيسة هي كصيدلية لعلاج أمراض الروح:

❖ لذلك، هلمُّوا الآن أرجوكم، ولنناقش تلك الأمور، يا أعزَّائي، ودعوني أحثكم أولًا أن تقبلوا كلامنا بغيرةٍ عظيمةٍ حتى تربحوا شيئًا له وزنه. إنه ليس عبثًا وبلا هدف كان مجيئنا إلى ههنا، فقد جئتُ أنا بهدف أن أنطق بشيءٍ نافعٍ وموافقٍ لخلاصكم، وأنتم جئتم لكي تنتفعوا مِمَّا يُقال، ومن ثمَّ تعودون بربحٍ أكثر. إنَّ الكنيسة، كما تَرَوْنَ، هي كصيدلية للروح، والذين يأتون إلى هنا عليهم أن يكتسبوا بعض العلاجات المُناسبة لهم، والتي يلتمسونها لأجل أمراضهم فيتغلَّبوا عليها.

التطبيق العملي لكلمة الله:

❖ إنَّ الطوباوي بولس الرسول يؤيِّد ذلك بقوله إنَّ مجرد الاستماع بدون استجابة ليس له قيمة قائلًا: «لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللهِ، بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ» (رو ٢: ١٣). كما إنَّ المسيح في بشارته يقول: «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ، يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ. بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ» (مت ٧: ٢١). وبناءً على ذلك، يا أحبَّائي، فطالما أننا نعلم أنه لا فائدة لنا من الإصغاء إن لم يكمل ذلك بما يتبعه من أعمالٍ صالحةٍ؛ فلنكن لا سامعين فقط بل عاملين حتى تكون الأعمال التي تتبع الكلام باعثةً لنا على الاطمئنان.

❖ لذلك اكشفوا أعماق أذهانكم لكي تتقبَّلوا هذه العظة عن الصوم. فيجب علينا أن نكون متقبِّلين هذا الدواء الروحاني، أي الانتفاع من الصوم، فنُطهِّر أفكارنا ونجعل أذهاننا يقظةً لئلَّا تتبلَّد من الطِّعام، وتجعل ما هو نافعٌ لنا في ممارسة الصوم بلا منفعة أو فائدة.

الامتناع عن كلِّ ما يعوق نمونا الروحي:

❖ إنني أعلم بالطبع أنَّ ما سأقوله اليوم سيُثير الكثير منكم باعتباره جديدًا عليكم، لذلك أرجوكم ألَّا نُصيِّر أنفسنا عبيدًا للعادة بعدم اكتراثنا، بل فلنُخضِع تلك الأمور مُحرِّكين عواطفنا في اتجاه مسيرة العقل. إنكم تَرَوْنَ أنه عندما يصير العقل مُتبلِّدًا من الشراهة المُفرطة، فإنَّ المنفعة التي تُكتَسب من الصوم تزول في الحال دون أن تترك أثرًا. إنَّ الكتاب يقول: «... وَلَا سِكِّيرُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ» (١كو ٦: ١٠). إذن، فماذا يمكن أن يكون أردأ من ورطة الذين هم مرفوضون من الملكوت بسبب إشباع شهوة عابرة ومُضرَّة؟!

مُمارسة الصوم تصل بنا إلى ميناء السلامة:

❖ الله لا يسمح أن يكون أحدٌ منكم – أنتم المجتمعين هنا – مغلوبًا من تلك الضعفات، بل لعلكم، بدلًا من ذلك، تُزيِّنون كلَّ يوم نفوسكم باتزانٍ وضبطٍ للنفس؛ وهكذا تصلون إلى ميناء السلامة لنفوسكم، أقصد الصوم، لكي تكونوا في وضع يُمكِّنكم من الانتفاع بفوائد الصوم المُضاعفة. لقد أثبت الصوم والتغاضي عن شهوات النفس وميولها، أنه يؤدِّي إلى منافع لا تُحصى لنا.

إنكم تذكرون أنَّ الله عند خلقته للبشر في البدء عَلِمَ باحتياجهم، بصفةٍ خاصةٍ، إلى هذا العلاج لأجل خلاص نفوسهم، ولذلك فقد أوصى خليقته البشرية منذ البداية قائلًا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا» (تك ٢: ١٦و١٧). وهذا النَّصُّ الخاص بالأكل وعدم الأكل يُشير بطريقةٍ رمزيةٍ إلى الصوم، فرغم أن الإنسان كان مطلوبًا منه حفظ تلك الوصية، إلَّا أنه لم يُنفِّذها إذ تغلَّب عليه الانحراف وارتكاب المعصية، وجلب على نفسه حُكْم الموت.

أَتَرَوْنَ، يا أحبَّائي، كيف أنه من البدء وجد الموت مدخلًا إلينا بسبب انحرافنا؟ لاحظوا أيضًا أنَّ الكتاب المقدَّس بعد ذلك يدين الانغماس في الشهوات قائلًا: «جَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ» (خر ٣٢: ٦؛ ١كو ١٠: ٧). واستمعوا لكلام النبي: «هذَا كَانَ إِثْمَ أُخْتِكِ سَدُومَ: الْكِبْرِيَاءُ وَالشَّبَعُ مِنَ الْخُبْزِ ... وَلَمْ تُشَدِّدْ يَدَ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ» (حز ١٦: ٤٩)، وباختصار، فإنَّ النَّهَم والتُّخمة هما كينبوعٍ مستمر لكلِّ شرٍّ.

أمثلة عن السلوك الصالح:

❖ ومن الناحية الأخرى، انظروا إلى أمثلة السلوك الصالح الناتج عن الصوم: فإنَّ النبي موسى العظيم، بعد صومه لمدَّة أربعين يومًا (خر ٢٤: ١٨؛ ٢١: ١٨)؛ أمكنه أن يحصل على لوحَي الشريعة. ولمَّا نزل من الجبل ورأى خطية الشعب، ألقى باللَّوحَيْن اللَّذَيْن حصل عليهما بنجاحه في مثل هذا التشفُّع وهشَّمهما (خر ٣٢: ١٩)؛ إذ اعتبر أنه من غير المعقول أن يحصل هذا الشعب اللاهي والخاطئ على ناموسٍ من وضع الربِّ نفسه.

وعلى ذلك، فإنَّ ذاك النبي العظيم كان عليه أن يأخذ على عاتقه صومًا أربعين يومًا أخرى، لكي يمكنه أن يأخذ لوحَيْن آخرَيْن مثل اللَّذين كسرهما بسبب خطية الشعب (خر ٣٤: ٢٨).

وإيليا النبي أيضًا صام فترةً مُماثلةً (١مل ١٩: ٨)، إذ أفلت من سلطان الموت وصعد إلى السماء بمركبةٍ ناريةٍ، وحتى هذا اليوم لم يذُق الموت. هكذا أيضًا دانيال النبي، فقد قضى عدَّة أيام صائمًا؛ فنال، كمكافأة له، رؤيةً رهيبةً حتى إنه ذلَّل هياج الأسود وحوَّلها إلى حملانٍ وديعة، ليس بتغيير طبيعتها، بل بتحويل غرضها دون أن تفقد وحشيتها! وقد استعمل أهل نينوى هذا العلاج أيضًا، فربحوا من الربِّ مهلةً، إذ تأكَّدوا من أنَّ الحيوانات ينبغي أن تُطبِّق العلاج (أي الصوم) مثل البشر، وهكذا منعوا عنها الطعام، وهكذا ربحوا حظوةً من ربِّ الكل (انظر: يون ٣).

ويمكننا أن نذكر عدَّة أمثلة أخرى مشهورة في كِلَا العهدَيْن القديم والجديد. ولكن، لماذا نُشير إلى الخُدَّام عندما ينبغي أن نأتي إلى ربنا جميعًا؟ إنكم تعلمون أنَّ ربنا يسوع المسيح ذاته قد صام أربعين يومًا، فأصبح مُعدًّا للصراع مع الشيطان، مُعطيًا لنا مثالًا أنه ينبغي – بواسطة الصوم – أن نُسلِّح أنفسنا، وباكتساب القوَّة من ممارسة الصوم نقبض بإحكامٍ على هذا العدو المُرعب.

الربُّ في تجسُّده يصوم مثل باقي البشر:

❖ وعندما ينظر أحدٌ للأشياء بتمعُّن، فربما يسأل: لماذا رُؤيَ الرب صائمًا بنفس عدد الأيام مثل رعيته؟ ولماذا لم يتعدَّ هذا العدد؟ إنَّ ذلك لم يحدث بدون أساس أو بدون غرض، بل حسب أغراض الرب الحكيمة ورأفته. لقد قاوم الرب تجربة أن يصوم أيامًا أكثر من رعاياه، لكي يُعلِّمنا بذلك درسًا بأنه اتَّخذ لنفسه جسدًا مثلنا تمامًا، وأنه عاش غير منعزلٍ عن حالنا البشري.

❖ وحيث إنَّ ذلك أصبح الآن واضحًا لكم من مثال كلٍّ من الربِّ ورعاياه، أن قيمة الصوم جديرةٌ بالاعتبار، وأن منفعةً عظيمةً تنشأ للنفس منه؛ فأرجوكم، يا أعزَّائي، إذ عرفتم فائدة الصوم، ألَّا تقاوموا قوَّته الخلاصيَّة بعدم مُبالاتكم، بل افرحوا وكونوا مسرورين كما يقول القدِّيس بولس: «إِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا» (٢كو ٤: ١٦). فالصوم إنما هو غذاءٌ للنفس؛ إذ يتخلَّى عن قدرة العقل الخفيفة، ويُمكِّنه من أن يتغلَّب بحذقٍ على مصاعب الحياة، ويطير إلى السماء والسماويَّات غير مُتعلِّقٍ بأمور هذه الحياة باعتبارها أسرع زوالًا من الظلال والأحلام. ومن الناحية الأخرى، فإنَّ التساهُل والإفراط في الجسديَّات يُثقلان عقولنا، ويُقيِّدان الروح ويُطوِّقانها من كلِّ جانب، ويستميلان العقل إلى

اتِّباع سُبُلٍ خَطِرةٍ؛ وهكذا يعملان بكلِّ طريقةٍ ضد خلاصنا.

الاهتمام بكلِّ ما يخصُّ خلاصنا:

❖ دعونا، يا أعزَّائي المحبوبون، ألَّا نكون مُهملين في التعامُل مع أمورٍ تخصُّ خلاصنا، بل نتعرَّف على المُزعجات التي يمكن أن تنشأ من ذلك المصدر الشرير، دعونا نتجنَّب الأذى الذي ينتج منه.

❖ جميع الأمور البشرية والمادية (التي تعوق خلاصنا) هي من هذا النوع من المسرَّات الزائفة، مثل الثروة وكل ازدهار للحياة الحاضرة يعوقنا عن خلاص نفوسنا، فإنَّ تلك الأمور ليس لها شيءٌ ثابت أو راسخ، ولكنها مُتغيِّرة أسرع من تيارات النهر، تاركةً أولئك الذين انجرفوا فيها عرايا ومهجورين.

ومن الناحية الأخرى، فإنَّ الروحيَّات ليست هكذا؛ بل بالعكس تمامًا، وفي الحقيقة إنها ثابتة وغير مُتحرِّكة وغير خاضعةٍ للتغيير، وهي باقية إلى الأبد. فأيُّ حماقةٍ، إذن، تكون في استبدال ما هو ثابت بما هو غير ثابت (أو غير مستقر)، الدائم بما هو عابر، غير الزائل بما هو سريع الزوال، ما يَعِد بمنح الفرح في الأبديَّة بما يُقدِّم لنا عقابًا مريعًا هناك؟

مُمارسة الأمور الروحيَّة في موسم الصوم المقدَّس:

❖ باعتبار كل ذلك، إذن – أيها الأعزَّاء المحبوبون – واعتبار القيمة العظيمة لخلاصنا، دعونا نزدري بالإسراف (أو الإفراط) باعتباره مُعوِّقًا ومؤذيًا لنا. ودعونا نُمارس الصوم والمواقف الصائبة معه. ودعونا نُبدي أسلوب حياةٍ متجدِّد، ونوجِّه أنفسنا يوميًّا إلى إنجاز أعمالٍ صالحةٍ.

وبتلك الطريقة، فإننا نقضي موسم الصوم الكبير المقدَّس كله مُمارسين أمورًا روحية وجامعين ثروةً عظيمةً من الفضيلة، حتى نكون بذلك مستحقِّين أن نصل إلى يوم الرب ونقترب بثقةٍ إلى تلك الوليمة الروحية الرهيبة، ونُشارِك بضميرٍ نقيٍّ في تلك الصالحات الخالدة والتي تفوق الوصف؛ إذ نكون بصومنا هذا مُمتلئين بالنعمة، وبصلوات وشفاعات أولئك المرضين للمسيح إلهنا المحبوب، الذي له مع الآب والروح القدس المجد والقوَّة والكرامة، الآن وإلى الأبد، آمين.

ادخل
إلى
العمق

الامتلاء بالروح

إعدادٌ لطريق الصليب

• «وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ» (لو ٤: ١).

تمهيد:

بعد ما اعتمد الربُّ يسوع من أجلنا في نهر الأردن، وحلَّ عليه الروح القدس بعلامةٍ ظاهرة، من أجل استعلانه أمام يوحنا المعمدان، وذلك بشهادة الآب السماوي له من السماء؛ حينئذٍ، أَصعَده الروح إلى **البرِّيَّة ليُجرَّب** من إبليس (انظر: مت ٤: ١)! ويقول القدِّيس لوقا البشير بالروح عن يسوع أيضًا: إنَّه «كَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ» (لو ٤: ١).

ثمَّ تلا اقتياد الروح للربِّ يسوع، أنَّه صام أربعين يومًا وأربعين ليلةً، بحسب ما كتب القدِّيس متى البشير: «فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ ...» (مت ٤: ٢، ٣)، وأيضًا كما كتب القدِّيس مرقس البشير بالروح: «وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ» (مر ١: ١٣). وفي نهاية الصوم، أكَّد لوقا البشير ما قاله القدِّيس متَّى أنَّ الربَّ يسوع قد "جاع أخيرًا" – بحسب التدبير الخاص بتَجسُّده من أجلنا – فتقدَّم نحوه الشيطان ليُجرِّبه، فسَحَقه السيِّد بكلمته الإلهيَّة، تأكيدًا على سلطانه وقدرته، وتحقيقًا لقول الروح على لسان يوحنا الرسول: «لأَجْلِ هذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ» (١يو ٣: ٨). ثمَّ بعد ذلك، جاءت الملائكة لتَخدُمه (مر ١: ١٣).

كلُّ هذه المراحل التي اجتازها الربُّ يسوع في تجربته على الجبل من أجلنا، تحمل لنا – في كلِّ مرحلةٍ – عُمقًا ومعنًى روحيًّا رائعًا، ونَبْعًا مُتدفِّقًا لفرحنا، وتَثبيت رجائنا على حقيقة النُّصرة التي وهبها لنا الربُّ يسوع، مِن قِبَل غَلبته ونُصرته **هو**، على إبليس وحروبه نيابةً عنَّا؛ حتى نَثِق في قوَّة إلهنا، الذي تألَّم وجُرِّب مثلنا: «لأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ تَأَلَّمَ مُجَرَّبًا يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ» (عب ٢: ١٨)، وأيضًا يقول عنه بولس الرسول بالروح: «... بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلَا خَطِيَّةٍ» (عب ٤: ١٥). فالربُّ يسوع، بنُصرته على

الشيطان، كرَّس لنا نحن أيضًا طريقًا للنُّصرة مثله، وذلك إن سلكنا كما سَلَك هو، عالمين أنَّنا إن كُنَّا نتألَّم أو نُجرَّب معه، أو نُجاهد ونصبر من أجله، مُنقادين بروح الله مثله؛ فإنَّنا سوف ننتصر ونتمجَّد معه أيضًا، بحسب وعده الصادق بالروح، على لسان بولس الرسول: «إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ» (رو ٨: ١٧).

يسوع والبرِّيَّة:

يَحمِل اسم البرِّية في الكتاب المقدَّس – سواء للربِّ يسوع أو لنا – تذكاراتٍ وأعماقًا ومشاعر مُميَّزة، حيث يُشير – في سرٍّ – إلى العلاقة الخاصة التي كانت بين الربِّ يسوع وبينها. فقد ذُكِرَ عن الربِّ يسوع أنَّه كان يعتزل في البراري ويُصلِّي هناك (انظر: لو ٥: ١٦)، وأنَّه اقتيد بالروح إلى البرِّيَّة (انظر: لو ٤: ١). وهناك في البرِّيَّة تتراكم التذكارات المقدَّسة، وأعمال الله العظيمة التي صنعها مع شعبه إسرائيل، ومُرافقته ورعايته الفائقة لهم طوال أربعين سنة في البرِّيَّة، التي يقول النبي عاموس عنها: «سِرْتُ بِكُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ» (عا ٢ : ١٠)، ويكتب إشعياء النبي بالروح عنها: «أَجْعَلُ فِي الْبَرِّيَّةِ طَرِيقًا» (إش ٤٣: ١٩)، ويقول أيضًا: «انْفَجَرَتْ فِي الْبَرِّيَّةِ مِيَاهٌ» (إش ٣٥: ٦)، ويهتف أيضًا: «تَفْرَحُ الْبَرِّيَّةُ وَالأَرْضُ الْيَابِسَةُ» (إش ٣٥: ١)، ويكتب عنها داود النبي: «وَلِتَبْتَهِجِ الْبَرِّيَّةُ وَكُلُّ مَّا فِيهَا» (١أي ١٦: ٣٢). أمَّا إرميا النبي فيكتب بالروح عنها: «لَيْتَ لِي فِي الْبَرِّيَّةِ مَبِيتَ» (إر ٩: ٢)، ثمَّ يكتب بالروح أيضًا عن مُناجاة الربِّ لشعبه: «قَدْ ذَكَرْتُ لَكِ غَيْرَةَ صِبَاكِ، مَحَبَّةَ خِطْبَتِكِ، ذِهَابَكِ وَرَائِي فِي الْبَرِّيَّةِ فِي أَرْضٍ غَيْرِ مَزْرُوعَةٍ» (إر ٢: ٢). والربُّ يسوع في حديثه مع نيقوديموس يُذكِّره بخلاص الله لشعبه في البرِّيَّة، بمثال الحيَّة النُّحاسيَّة، فيقول له: «وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ» (يو٣: ١٤).

فالبرِّيَّة كانت دائمًا موضع حُبٍّ وراحة للربِّ يسوع، ومكانًا مُفضَّلًا لخِلواته وصلواته وراحته؛ حيث كان يُضرِم فيها تذكارات الحبِّ المقدَّس بينه وبين شعبه وجُبلته. كما صارت البرِّيَّة لنا محطة الرجاء التي منها يظهر المحبوب والمُخلِّص مُشتهى جميع الأُمم، الذي تهتف له عروس النشيد بالروح قائلة: «صَوْتُ حَبِيبِي. هُوَ ذَا آتٍ طَافِرًا عَلَى الْجِبَالِ، قَافِزًا عَلَى التِّلَالِ» (نش٢: ٨)، هذا من ناحية.

ولكن، من ناحيةٍ أخرى، يرتبط اسم البرِّيَّة بكونها موضع سُكنى الوحوش، والأراضي المُقفرة والمُجدِبة التي ليس فيها ماء، كما تُعتبَر عُقر دار الشيطان ومسكنه أيضًا؛ وذلك

بحسب ما وَرَدَ عنها عن فم الربِّ يسوع نفسه في (مت ١٢: ٤٢؛ لو ١١: ٢٥)، حينما تحدَّث عن الأرواح النَجسة التي تسكن الأماكن الخَرِبة والمُقفرة. لذلك قيل إنَّ الربَّ يسوع اقتيد بالروح إلى البرِّيَّة (مسكن الشيطان)، لكي يُقهره فيها، ويُجرِّده من أسلحته بسلطانه وقوَّة كلمته المُحييةِ؛ حتى يُكرِّس لنا طريقًا للغلبة، ويُثبِّت لنا علاماتٍ واضحة لطريق النُّصرة الملوكي على الشيطان، بالصوم والصلاة والكلمة الإلهيَّة، مؤكِّدًا وضامنًا لنا معونته حتى اكتمال نُصرتنا وانصراف الشيطان عنَّا: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ».

الامتلاء بالروح والانقياد له، يَتبعه التجارب والآلام:

توجد حقيقة روحيَّة ثابتة في الإيمان المسيحي، وهي أنَّ الامتلاء من الروح القدس، وتسليم الحياة والمشيئة له، لا بد وأن تقودنا بالضرورة للدخول في طريق الصليب والآلام (البرِّيَّة)! كقول يشوع بن سيراخ بالروح: «يَا بُنَيَّ، إِنْ أَقْبَلْتَ لِخِدْمَةِ الرَّبِّ الإِلهِ، فَاثْبُتْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَأَعْدِدْ نَفْسَكَ لِلتَّجْرِبَةِ» (سي ٢: ١). فبدء طريق الصليب يُستَعلَن بعد المِلء والتعزية اللتين يَهبهُما الروح القدس للإنسان، خاصةً إن أطاع واتَّضع تحت تدبير ومشورة الروح القدس في حياته؛ حينئذٍ، يستحِقُّ أن يُدعى ابنًا لله، ويسير في موكب نُصرته، حسب قول بولس الرسول بالروح: «لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ» (رو ٨: ١٤). لذلك تُعدُّ الآلام والتجارب والاضطهادات ضرورة، وشاهدًا صادقًا على حقيقة الدخول في طريق المسيح والصليب – كَبنين – ومِن ثمَّ استحقاق النُّصرة والقيامة معه.

وليس مِن مثال أَدَلّ على صدق هذه الحقيقة، سوى مثال حياة الربِّ يسوع نفسه، الذي بعد ما اعتمد وحلَّ عليه الروح القدس «بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ» (لو ٣: ٢٢) من أجلنا؛ اقتاده الروح في البرِّيَّة ليُجرَّب من إبليس. وكذلك التلاميذ والرُّسُل المُكرَّمون (الكنيسة الأولى)، بعد حلول الروح القدس عليهم يوم الخمسين، بدأت مسيرة شهاداتهم وكرازتهم المصحوبة بكلِّ أنواع الآلام والميتات منذ اليوم الأول لبدء هذه الكرازة، حتى إنَّ أكثرهم قد أنهى حياته على الأرض بالصَّلْب أو الشهادة من أجل اسم المسيح، ومن أجل شرف نَيْل إكليل الشهادة والنُّصرة السمائيَّة. فالروح القدس يقودنا إلى قبول التجارب والآلام واحتمالها بفرح، والانتصار والغَلَبة فيها، مثل الربِّ يسوع نفسه، الذي قيل عنه: «مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلَا خَطِيَّةٍ» (عب ٤: ١٥).

التجارب، إذن، ضرورة لنا، سواء لكَونِها شهادة على قبولنا لشركة الآلام مع الربِّ يسوع، واستحقاقنا أكاليل النُّصرة معه، أو كبرهانٍ على انقيادنا لروح الله وتجرُّدنا وتواضُعنا أمامه؛ فنَستحِقّ أن نُدعى أولاد الله: «فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ» (رو ٨: ١٧).

الصَّوم والصَّلاة والاستعداد للتجارب:

يكتب القدِّيس لوقا البشير بالروح عن الربِّ يسوع أنَّه كان يعتزل في البراري ليُصلِّي (انظر: لو ٥: ١٦)، كما يكتب أيضًا بالروح عن صوم الرب أربعين يومًا وأربعين ليلة في البرِّيَّة، فيقول: «لَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ» (لو ٤: ٢). وكذلك يُسجِّل لنا القدِّيس متى البشير هذا الحَدث، فيقول: «فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ ...» (مت ٤: ٢،٣). فالصوم كان إشارةً روحيَّة لتجرُّد وإطاعة المسيح لمشورة الروح القدس والانقياد له، وكذلك يُعدُّ منهجًا عمليًّا لنا في طريق جهادنا الروحي، ومثالًا لكيفيَّة الاستعداد لمواجهة التجارب.

وفي الحياة الروحيَّة، يلزم للمُنقاد بالروح القدس أنْ يُجاهد ويَضبط نفسه في كلِّ شيء، بحسب ما وَرَدَ على لسان بولس الرسول بالروح: «مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبُطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ» (١كو ٩: ٢٥). ومن مشورات الآباء الروحيين قولهم: [الصوم هو بداءة طريق الله المقدَّس. وهو صديقٌ ملازِمٌ لكلِّ الفضائل. إنْ أردتَ أن تبدأ في أيِّ فضيلة، فلتبدأ بالصوم][1].

ولا شكَّ أنَّ تدبير الآباء الرهبان في اقتحامهم البرِّيَّة – معقِل ومسكن الشيطان – وجهادهم مُقابله بالصوم والصلاة، تَمثُّلًا بسيِّدهم ومُخلِّصهم في صومه وتجربته ونُصرَته، فإنَّ ذلك الأمر يُزعج الأرواح الشِّريرة، ويستفزُّها ويُثيروها لمُحاربة الرهبان، ومحاولة إبطال جهادهم أو إحباطهم؛ ولكن هيهات، لأنَّهم، بنعمة سيِّدهم وقوَّة كلمته الإلهيَّة، مُعضَّدون ومُنتصرون على عدوِّهم.

الصوم والصلاة، إذن، هما سلاحان بتَّاران لا يمكن مباراتهما، وذلك لكلِّ المُزمعين أن

(١) "حياة الصلاة الأرثوذكسيَّة "، للأب متى المسكين، قول رقم ٩٥٥، مار إسحق السرياني، الطبعة الحادية عشرة، ص ٤٧١.

يُجاهدوا مع سيِّدهم، حتى وإنْ جاعوا أخيرًا، أي بعد ما تفرغ قدراتهم وطاقاتهم – بحسب الطبيعة الإنسانيَّة المحدودة – وحينما يَكتمل جهادهم، المُعبِّر عن أقصى طاقة ورصيد لحُبِّهم لمُخلِّصهم؛ فحينئذٍ، سوف تتدخَّل النعمة لتُسعف جهادهم، وتُحارب عنهم، وتُكمِّل لهم النُّصرة والفرح بأكاليل الخلاص، من قِبَل مراحم الربِّ لهم، وذلك بسبب محبَّتهم وأمانتهم وأتعابهم التي قدَّموها لاسمه القدُّوس. وسَينظرون بأعين قلوبهم ملائكة الله تخدمهم!

الكلمة المقدَّسة سلاحٌ بتَّارٌ ضدَّ مكائد إبليس:

قيل عن الشيطان إنَّه كذَّاب وأبو الكذَّاب: «ذَاكَ كَانَ قَتَّالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ ... مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ» (يو ٨: ٤٤). فالشيطان أراد أن يستخدم كلمات الوحي الإلهي كمدخل لتجربة الربِّ يسوع، مُحرِّفًا معناها وغايتها للخداع والتشويش، غير مُدركٍ أنَّه يواجه واضع الناموس نفسه. ولا شكَّ أنَّ هذا هو دأب الشيطان في حربه مع أولاد الله، خاصَّةً المُتمسِّكين بالوصيَّة الإلهيَّة، حيث يُحرِّف أمامهم معنى الوصيَّة وكلماتها وتأويلها، ليزرع الشكَّ والرِّيبة في قلوب سامعيها، كما كتب بولس الرسول بالروح: «الَّذِي جَعَلَنَا كُفَاةً لأَنْ نَكُونَ خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ. لَا الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ. لأَنَّ الْحَرْفَ يَقْتُلُ وَلكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي» (٢كو ٣: ٦).

لذلك مِن الضروري والمُهم جدًّا في حربنا مع إبليس، أن نحتمي بالوصيَّة الإلهيَّة، ونستنير بقوَّتها بإيمانٍ صادق، ولا ننخدع بأفكار وكلمات إبليس المُحرِّفة لهذه الوصايا، والمُشكِّكة في معانيها وجدواها ومنفعتها لنا؛ بل علينا أن نجحد أولًا الشيطان وكلَّ أفكاره الشرِّيرة، ونتريَّث ونُجاهد في التمسُّك بالوصايا الإلهيَّة، ونسعى لفهم معانيها الصحيحة، قارنين الروحيات بالروحيات، ومستعينين بآباء الكنيسة ومُعلِّميها لإيضاح ما غمض علينا من أمور، من أجل تثبيت الإيمان، وإنارة العقول والقلوب بمقاصد الروح لنا؛ كما يكتب لنا القدِّيس بطرس الرسول بالروح: «فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِذْ قَدْ سَبَقْتُمْ فَعَرَفْتُمُ، احْتَرِسُوا مِنْ أَنْ تَنْقَادُوا بِضَلَالِ الأَرْدِيَاءِ، فَتَسْقُطُوا مِنْ ثَبَاتِكُمْ» (٢بط ٣: ١٧). ولنتيقَّن من قوَّة وفاعليَّة الكلمة المقدَّسة وسلطانها على قهر أعدائنا، كقول الروح على فم بولس الرسول: «لأَنَّ كَلِمَةَ اللهِ حَيَّةٌ وَفَعَّالَةٌ وَأَمْضَى مِنْ كُلِّ سَيْفٍ ذِي حَدَّيْنِ، وَخَارِقَةٌ إِلَى مَفْرَقِ النَّفْسِ وَالرُّوحِ وَالْمَفَاصِلِ وَالْمِخَاخِ، وَمُمَيِّزَةٌ أَفْكَارَ الْقَلْبِ وَنِيَّاتِهِ» (عب ٤: ١٢).

دراسات كتابيَّة

«دَانَ الخَطِيَّةَ فِي الجَسَدِ»

(رو ٨: ٣)

(١)

كيف يمكننا فهم هذه الآية؟ أولًا، الفعل هنا في أصله اليوناني لا يعني مجرَّد "دان"، وإلَّا لكان استُخدم الفعل المعروف "κρινω"، لكنه استخدم الفعل "κατακρίνω"، بإضافة "κατά" قبل الفعل، فأصبح الفعل مُشَدَّدًا، بمعنى: "قضى، حَكَمَ على". فالفعل يفيد معنًى قضائيًّا مُلْزِمًا نهائيًّا، نازلًا من سلطة عُليا إلى أسفل (κατά). الله، القاضي الأعلى، حَكَمَ على الخطيَّة في الجسد. حَكَمَ علَيها بماذا؟ بالموت. أين؟ في جسد ابنه. وما هيَّة هذا الجسد؟ هو "شِبْه جسد الخطيَّة"، وهكذا نقرأ: «اللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ (حَكَمَ على) الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (رو ٨: ٣).

إنَّما لكي نُحيط بالمعنى العميق لهذه الآية، ينبغي لنا أن لا نكتفي بوضعها في سياقها الضَّيِّق الصغير، أي ما يسبقها وما يليها مباشرةً، بل أن نُراعِيَ سياقها الكبير كذلك، أي الأصحاحات الثمانية الأولى من رسالة رومية. هذه الأصحاحات الثمانية يجدر بنا أن ندعوها "إنجيل بولس الرَّسول"، بحسب تعبيره: "إنجيلي"، الذي كرَّرَه على الأقل ثلاث مرَّات[١]. لماذا؟ لأنَّه على مدى هذه الأصحاحات، وبطريقة مُرَكَّزَة غايةَ التَّركيز، قدَّم بولُس الرَّسول عرضًا لأركان الإيمان المسيحيّ، وتفصيلًا لأُسس إنجيل يسوع المسيح، وشرحًا لِمَا عساه أن يكون الكفَّارة والفداء والخلاص.

يمكننا استخلاص ثلاثة مَحاوِرَ أساسيَّة يُقدِّمها لنا بولس الرسول في هذه الأصحاحات: **أوَّلًا:** حالة الإنسان البائسة بدون المسيح؛ **ثانيًا:** الخلاص العظيم الَّذي صنعه الله في المسيح؛ **وثالثًا:** الوسيلة التي بها يغتني الإنسانُ الشَّقيُّ بهذا الخلاص العجيب. وسوف نرى في نهاية الحديث أنَّ هذه الآية الصغيرة موضع دراستنا تحوي وحدَها المحورَين الأوَّلَين، أي

---

(١) ١– «فِي الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يَدِينُ اللهُ سَرَائِرَ النَّاسِ حَسَبَ **إِنْجِيلِي** بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رو ٢: ١٦).
٢– «وَلِلْقَادِرِ أَنْ يُثَبِّتَكُمْ، حَسَبَ **إِنْجِيلِي** وَالْكِرَازَةِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رو ١٦: ٢٥).
٣– «اُذْكُرْ يَسُوعَ الْمَسِيحَ الْمُقَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ بِحَسَبِ **إِنْجِيلِي**» (٢تي ٢: ٨).

بؤس الإنسان، وخلاص المسيح، وأنَّ ما قبلها وما بعدها مباشرةً يدلُّنا على المحور الثالث، وهو وسيلة الإنسان لنَيْلِ هذا الخلاص.

المحور الأوَّل: شقاوة الإنسان

بمعصية آدم دخلَت الخطيَّة إلى العالم، وبواسطة الخطيَّة دخل الموت ومَلَكَ على البشر (قا: رو ٥: ١٢، ١٤)، فالمَوت قرين الخطيَّة. لكن رغم ذلك، لم يترك اللهُ الإنسانَ السَّاقط، بل تعهَّده بافتقادٍ إلهيٍّ مزدوجٍ: أوَّلًا: بصوت الضمير؛ ثمَّ بعد ذلك، حين أخفق الإنسان في إطاعة ضميره والإصغاء لصوته، تنازَل الله وكتب له بإصبعه ناموسًا محفورًا على حجارة، وسلَّمه إليه بواسطة نبيِّه موسى، عساه ينتصح ويُقوِّم طريقه.

أ – ما قبل النَّاموس:

لم يترك اللهُ الإنسانَ وشأنَهُ، ولم يُسلِّمْه لأهوائه ونزواته، بل تعهَّده بصَوت الضمير في داخله، وهو صدى صورة الله التي عليها خُلِق الإنسان في الأصل. فهذا الضمير لا يبرح يتَّهمه حين يعمل الشَّرّ، ويدافع عنه حين يصنع الخير (قا: رو ٢: ١٥).

فإنْ أنصت الإنسان لصوت ضميره، صار الإنسان ذاتُه بمثابةِ ناموسٍ لنفسه (قا: رو ٢: ١٤)، لكنْ إنْ سَدَّ أُذنَيه عن هذا الصَّوت الدَّاخلي، فليس فقط سيسقط تحت الدَّينونة، بل سوف تنحجب عنه معرفة الله، وهذا أخطر ما يمكن أن يصنعه الإثم، أنَّه «يَحجز الحقَّ» (رو ١: ١٨)، أي يُخفي الحقَّ أو يُشَوِّش علَيه ويحجزه فلا يَظهر.

هنا يُقرِّر الرسول حقيقةً غايةً في الأهميَّة: إنَّ جهل الإنسان بالخالق ليس مُبرَّرًا، فالإنسان بلا عذرٍ. لماذا؟ لأنَّ الله أَظهَر معرفته له، حتى بدون الناموس (قا: رو ١: ١٩). فعدم إعطاء المجد أو الشُّكر لله ما هو إلَّا حماقةٌ وبلادةٌ، بل جنونٌ (رو ١: ٢١، ٢٢).

فإنْ كان الإنسان يعمل الإثم، فإثمُهُ هذا عينُهُ يمنعه من رؤية الحق، وهكذا يكون الإنسان هو المسؤول حتَّى عن جهله بالله. لكن، رغم كلِّ هذا، يبقى إنسانُ ما قبل النَّاموس يتحَسَّسُ طريقه على هُدَى النَّاموس الطبيعيّ أو الضمير، ناموسٍ يلمع ويظهر تارةً، ويخبو ويخفت تارةً أخرى. لكن ماذا عن إنسانِ ما بعد النَّاموس؟ ماذا عن إنسانٍ تسلَّمَ من الله رأسًا ما يجب فعله وما لا يجب؟ هنا، هيهات لهذا الإنسان أن يجد عذرًا في خطيته.

ب – ما بعد الناموس:

جاء موسى بالنَّاموس من عند الله، واضعًا حدودًا ونواهِيَ للإنسان، عسى أن يَرْدَعَهُ هذا عن الشَّرّ. لكن للأسف لم يكفّ الإنسان عن الخطيَّة، بل، لقد صار وضعُهُ أسوأ. لماذا؟ لأنَّه قبل الناموس، كان بخطيَّته يكسر النَّاموسَ الطبيعي فقط، لكن بعد الناموس صارت خطيَّته كسرًا للناموسَين: ناموس الطبيعة المكتوب على ألواح الضمير، وناموس موسى المكتوب بإصبع الله نفسه. وهكذا بمجيء النَّاموس حُسِبَت الخطيَّة بالفعل خطيَّة، لأنَّ "الخطيَّة لا تُحسَبُ إنْ لم يكن هناك ناموس" (رو ٤: ١٥)، بل إنَّها حُسِبَت كذلك تَعدِّيًا (قا: رو ٤: ١٥).

إذًا، سواءٌ بدون النَّاموس، أو بالناموس، فالإنسان مسؤولٌ عن أفعاله أمام الله، وهو بلا عذر: "فكل الَّذين بدون النَّاموس يخطئون، فبدون النَّاموس أيضًا سيَهلكون، وكلُّ الذين في الناموس يخطئون، فبالناموس سيُحكَم عليهم" (رو ٢: ١٢). بل على العكس، فإنَّ النَّاموس – بمعنًى ما – زاد من بؤس الإنسان، إذ قد أغلق علَيه في العصيان (قا: رو ١١: ٣٢). فمن ناحيةٍ، سَدَّ عليه أيَّ مَنْفَذٍ مُتَبَقٍّ له للأعذار، إذ قد رَسَم الحَدَّ الفاصل بين البِرّ والخطيّة؛ ومن ناحيةٍ أخرى، كَشَفَ عجزَه التَّامّ عن عمل الخَير وإخفاقه المستمر في تنفيذ الوصيَّة. لكنْ ينبغي لنا أن لا نُغْفِلَ الجانب الإيجابيّ من النَّاموس، وإلَّا فلماذا أعطاه الله؟ فالرَّسول يقول صراحةً: «النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ» (رو ٧: ١٢). فلقد «كَانَ النَّامُوسُ مُؤَدِّبَنَا إِلَى الْمَسِيحِ» (غل ٣: ٢٤). إذن، فعجز الإنسان الذي أظهره الناموس كان له جانبه الإيجابيّ أيضًا، وهو إدراك الإنسان لشقاوته، وبالتالي صرخته الدَّفينة لطلب المُنقِذ والمُخلِّص: «وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي (ῥύομαι) مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟» (رو ٧: ٢٤). وهكذا، بلغَت هذه الصَّرخة الصَّادقة إلى الله، وخرج «مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِذُ (ῥυόμενος) وَرَدَّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ» (رو ١١: ٢٦؛ إش ٥٩: ٢٠).

المحور الثَّاني: خلاص المسيح

أشرق فجر الخلاص بتجسُّد ابن الله الوحيد. هذا هو لُبُّ الإنجيل وقلب البشارة المُفرحة. فـ "إنجيل الله"، الذي يَستهلُّ به بولس الرسول رسالته إلى رومية (قا: رو ١: ١)، يُبشِّر بالأساس وقبل أيِّ شيءٍ آخر بشخصٍ واحدٍ: ابن الله «الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ، وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ، بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ» (رو ١: ٣، ٤). وهكذا لم يتردَّد بولس الرسول في تسمية هذا الإنجيل أيضًا "إنجيل الابن"

(قا: رو ١: ٩). هذا الإنجيل، إنجيل الآب وإنجيل ابنه يسوع المسيح، ليس كلماتٍ ولا أخبارًا، بل هو قوَّة الله القادرة على الخلاص (قا: رو ١: ١٦). كيف يمكن أن يكون هذا؟

كما سبق وذكرنا أنَّ سبب شقاء الإنسان وبؤسه هو الموت، وسبب دخول الموت هو الخطيَّة، وسبب دخول الخطيَّة هو سقوط آدم، الإنسان الأول. لذلك لكي يَتمَّ خلاص الإنسان يَلزم نَقْضُ هذا التَّعاقُب المُميت، وهذا هو بالضَّبط ما أكمله المسيح بالتجسُّد، فصار هو آدَمَ الثاني، وعِوَضَ الخطيَّة والموت اللَّذَين أدخلهما آدم الأوَّل، بَثَّ المسيحُ البِرَّ والحياة في البشريَّة، وذلك بفضل أَخْذه هذه البشريَّة في نفسه وتقديسها. لذلك عندما أراد الرَّسول إبراز هذه المُفارقة، وكيف أنَّ نعمة الله وعَطِيَّتَه قد ازدادت وفاضت، لم يقل "بيسوع المسيح"، بل "بالإنسان يسوع المسيح" (رو ٥: ١٥)، مُشدِّدًا ومُحَدِّدًا بهذا أنَّ كلَّ نعمة الخلاص والفداء التي صارت للإنسان تَمَّت بفضل تجسُّد الابن الوحيد.

ورغم التَّوازي الذي يبدو للوهلة الأولى بين آدم الأول وآدم الثاني، إلَّا أنَّ الرَّسول كان دقيقًا في إبراز البَون الشاسع بين مقدار التَّرَقِّي الذي ناله الإنسان في المسيح، ومقدار الهوَّة التي انحدر إليها بسقطة آدم. فرغم وضعه هذه المقارنة بين الحَدَثَين، إلَّا أنَّه يستخدم مفرداتٍ تُشدِّد على الفارق الكبير وعدم التَّوازي، فيقول صراحةً: «ليس مثل الخطيَّة هكذا أيضًا الهبة (οὐχ ὡς ... οὕτως)»، وأيضًا: «فبالأولى كثيرًا/ فكم بالأحرى (πολλῷ μᾶλλον) ... نعمة الله قد ازدادت جدًّا/ فاضت (ἐπερίσσευσεν) ...» (رو ٥: ١٥)، وأيضًا «ليس كما (οὐχ ὡς) بواحد قد أخطأ تكون العطيَّة» (رو ٥: ١٦). فالخلاص الذي قدَّمه الله في المسيح، والذي يدعوه بولس الرَّسول في الآيات السابق ذكرها بـ "الهبة" أو "النعمة" أو "العطية"، لا يمكن بأيِّ حالٍ أن يكون مجرَّد "نظيرٍ" لخطية آدم وسقوطه، لكنَّه في اتِّجاهٍ معاكس يفوقها بلا حدود.

والدَّليل على هذا قدَّمَه الرَّسول بعد ذلك دامغًا وساطعًا: فإنَّه في حالة آدم الأوَّل لم تكن هناك سوى خطيَّة واحدة، ولكنْ منها هي فقط قد صار الحُكْم والقضاء على الجميع؛ بينما في حالة آدم الثاني، كانت هناك خطايا كثيرة – كلُّ خطايا البشرية – ولكنْ عطيَّة المسيح الفائقة وهِبَتُه التي لا تُستقصى أخرجَت من كلِّ هذه الخطايا تبريرًا عجيبًا: «لأنَّه بينما الحكم من خطيَّة واحدةٍ (قد أدَّى) إلى الدَّينونة، فإنَّ الهِبَة من خطايا كثيرة

(قد أدَّت) إلى التبرير» (رو ٥: ١٦)[٢].

وأيضًا حينما يُقارن الرَّسول بين آدم الأول وآدم الثاني، يقول إنَّه بسقطة الأوّل قد مَلَكَ الموت؛ لكن بالثاني، لم يقل في المقابل إن الحياة سوف تَمْلك، بل بالأكثر جدًّا (πολλῷ μᾶλλον) نحن أنفسنا الذين ننال فيض النعمة وعطيَّة البرّ، نحن أنفسنا سنملك في الحياة بيسوع المسيح (قا: رو ٥: ١٧). وهكذا يشرح الأب متّى المسكين قائلًا: "التوازي بين عمل آدم في الشَّرِّ لا يمكن أن يقوم أمام الذي عمله المسيح في إظهار برِّ الله بأيِّ حالٍ من الأحوال، لأنَّ المسيح لم يأتِ ليُصلح ما أفسده آدم، بل جاء ليُغيِّر الطبيعة البشريَّة بجملتها، كما قال المسيح، ليولَد الإنسان من جديد، فلا توازٍ على الإطلاق بين ما أفسده آدم وما عمله المسيح. كذلك يستحيل التوازي بين ما ورثناه نحن من آدم في الخطية، وما ورثناه من المسيح في برِّ الله، لأنَّ الأوَّل أخذناه في طبيعتنا، والثاني أخذناه فوق الطبيعة من طبيعة الله"[٣].

الإنجيل هو ظهور برِّ الله (قا: رو ٣: ٢١)، بمعناه المزدوج، أي البِرِّ الذي لله، أي كَوْنُه هو نفسُه بارًّا، وكذلك البرِّ الذي يهبه الله للإنسان، كَوْنُه مصدرَ البرِّ ومُعطيه. بالنسبة لله، ليس شيءٌ جديدًا، فهو بارٌّ منذ الأزل وإلى الأبد، لكن الجِدَّة كلّ الجدَّة هي للإنسان، إذ قد وَجد نفسَه في نطاق البرِّ، برِّ مَنْ؟ بر الله ذاته. والذي يَزيد الأمر عجبًا هو ظهور هذا البرِّ وعَرْضُه على الإنسان بدون أعمالٍ: «أمَّا الآن، فبدونِ الناموس، قد ظَهَرَ برُّ الله»

---

(٢) ما أوردناه أعلاه هو ترجمة أدقّ من الترجمة البيروتية المتداولة («لأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ (ἑνός) لِلدَّيْنُونَةِ، وَأَمَّا الْهِبَةُ فَمِنْ جَرَّى خَطَايَا كَثِيرَةٍ لِلتَّبْرِيرِ»)، حيث كلمة "واحد (ἑνός)" لا تعود على "آدم" بل على "خطيَّته (παράπτωμα)". كذلك أيضًا **لا** يوجد مُسَوِّغ لإضافة كلمة "جَرَّى" في الترجمة، بل إن هذا يُضِيع قوَّة المُفارقة. فالمقارنة دقيقة للغاية والمفردات معدودة ومتناظرة وموضوعة في الحالتين بعناية شديدة. فمن ناحيةٍ (μὲν)، في حالة "الحُكْم"، مجرَّد خطيّة واحدةٍ قد أدَّت إلى الدَّينونة؛ ومن الناحية الأخرى (δε)، في حالة "الهبة"، فإن خطايا كثيرة قد أبادها التبرير. ونضع هنا الجملتين كما وردتا في الأصل اليونانيّ لنرى المقارنة التي كان يريد الرسول إبرازها، وكيف دقَّق في اختيار المفردات، بل حتَّى في عدد الكلمات وترتيبها:

«أمَّا الحُكْمُ، فمن (خطيَّة) واحدةٍ إلى الدينونة (τὸ μὲν κρίμα ἐξ ἑνὸς [παραπτώματος] εἰς κατάκριμα)، وأمَّا الهِبَةُ، فمن خطايا كثيرة إلى التبرير (τὸ δὲ χάρισμα ἐκ πολλῶν παραπτωμάτων εἰς δικαίωμα)».

وقد أضفنا كلمة [**παραπτώματος**] في الشطر الأول من الآية بناءً على ورودها في السياق، لتُبيِّن المقصود من كلمة ἑνὸς (واحد أو واحدة)، إذ قد وردت في (رو ٥: ١٨) ἑνὸς παραπτώματος (خطية واحدة).

(٣) "شرح رسالة القدِّيس بولس الرسول إلى أهل رومية"، (٥: ١٢)، ص ٢٧٣.

(رو ٣: ٢١)[٤]. أي إنَّ الله عَرَضَ البِرَّ على الإنسان بدون الحاجة إلى أعمال النَّاموس. لكنْ على أيِّ أساسٍ كان هذا العرضُ السَّخيُّ غَيْرُ المسبوق؟ على أساس «الفداء (ἀπολυτρώσεως) الذي في المسيح يسوع» (رو ٣: ٢٤). ما هو هذا الفداء؟ هو تحريرٌ كاملٌ من العبوديَّة، وعِتْقٌ تامٌّ من السَّبي، أي من عبوديَّة الخطيَّة وسبي الشَّيطان. وكيف تمَّ هذا الفداء؟ بتقديم الله ابنَهُ كفَّارَةً (ἱλαστήριον)، بسفك دَمِهِ، فيتمُّ هكذا غفرانُ الخطايا (قا: رو ٣: ٢٥). والرَّسول يدعو إحسانَ الله هذا نحو الإنسان الخاطئ بـ "النِّعمة": «مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ (τῇ αὐτοῦ χάριτι)» (رو ٣: ٢٤). فإذ فدى المسيحُ الإنسانَ بدمِهِ، وعَتَقَهُ من الخطيَّة بكفَّارتِهِ، وبَرَّرَه بقيامته، تصالَح الإنسان مع الله؛ فبيسوع المسيح نلنا المصالحة (قا: رو ٥: ١١).

يشرح الأب متَّى المسكين معنى الفداء هكذا: "لقد مات المسيح بجسد بشريَّتنا وعليه خطايانا، أيْ مات حاملًا جسدنا العتيق في نفسه ... لقد مات لأجلنا وقام لأجلنا ليَهَبَنا قوَّة موته لإلغاء الخطيَّة والموت، ويهبنا قوَّة حياته في القيامة من بين الأموات. وهذا هو الفداء"[٥]. إذن، حينما صُلِبَ المسيح، صَلَب معه الإنسانَ العتيق، أي الخطية في جملتها[٦]. والرسول يقول: إنَّ «الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ» (رو ٦: ٧). وهكذا نستطيع أن نقول هنا إنَّ الحُكْمَ على الخطيَّة بالموت قد تمَّ تنفيذه على الصليب بصلب الإنسان العتيق. فإنْ كنَّا نريد أن نعرف ما هو الذي وقع عليه الموت في الصليب بالنسبة لنا بالمفهوم الرُّوحي، فهو إنساننا العتيق: «عَالِمِينَ هذَا أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ» (رو ٦: ٦). إذًا، فالإنسان العتيق أو "جسد الخطيَّة" أو "جسد الموت" (قا: رو ٧: ٢٤) أو "جسد المذلَّة" (قا: في ٣: ٢١)، هو الذي صُلِبَ مع المسيح. هذا هو نصيبنا في المسيح المصلوب: إنَّه صَلَبَ الإنسان العتيق، وأبطل جسد الخطية.

غَيْر أنَّه يلزمنا أن لا نَحصُر خلاصَ الله، الذي صار لنا في المسيح يسوع، في إطارٍ

---

(٤) الفعل "قد ظهر (πεφανέρωται)" يَرِد في زمن المضارع التام الذي يفيد أنَّ الفعل، وإنْ كان قد تمَّ في الماضي، إلَّا أنَّ تأثيره لا يزال فعَّالًا وحاضرًا إلى الآن.

(٥) الأب متّى المسكين، "الخليقة الجديدة" ج ١، ص ١١٢.

(٦) يقول الأب متى المسكين في شرحه لهذا الجزء من رسالة رومية: "وَصْفُ بولس الرَّسول الخطيَّة في جملتها بـ "الإنسان العتيق" وبـ "جسد الخطيَّة" يوضِّح كيف أنَّ الخطيَّة لها أعضاءٌ كثيرة تعمل في توافُق وتآزُر وتكامُل يشُدُّ الواحد الآخَرَ ويتجاذب الكلُّ ضدَّ روح الإنسان" ("شرح رومية" ٦: ٦، ص ٣٠١).

قضائيٍّ بَحْت، وكأنَّ الإنسان ليس إلَّا متَّهَمًا بائسًا، والله الآب ليس سوى قاضٍ صارمٍ، والابن لا يعدو كونه فاديًا حمل عقوبة المتَّهم بدلًا منه. فالخلاص في معناه العميق يحمل معنى الشِّفاء والتقويم[٧]، وهكذا فأن يُخلِّص المسيحُ الإنسانَ، فهذا معناه أن يشفي طبيعته من مرض الخطيَّة ويُقيمها صحيحةً من دائِها؛ بل ويخلقها من جديد «بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ» (أف ٤: ٢٤). أمَّا عن الدَّافع الأوَّل والأخير لكلِّ هذا الفداء العظيم، فهو بلا جدالٍ الحبُّ الإلهيُّ الفائض للإنسان الشَّقيّ، حبُّ الآب للإنسان وحبُّ الابن للإنسان. هذا الحُبُّ هو الدَّافع لتجسُّد الكلمة وموته. فالتَّجسُّد لم يكن إلَّا إظهارًا لمحبَّته: "لأجل خلاصنا أظهر محبَّته العظمى إلى حدِّ أن يظهر ويولد في جسدٍ بشريٍّ"[٨]، «اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا، لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رو ٥: ٨).

بالإضافة إلى ذلك، فإنَّه في المسيح يسوع أيضًا، قد مات – ليس الخطيَّة والموت فقط – بل النَّاموس أيضًا. فبولس يُشبِّه النَّاموس بالزَّوج الذي مات بمجيء المسيح، فصارت امرأته، وهي كلّ إنسان كان تحت النَّاموس، حرَّة لكي تصير لآخَر، للمسيح. وفي هذا يقول العلَّامة أوريجانوس: [عندما صار الكلمة جسدًا وعاش بيننا، فبحضوره أخرب أورشليم الأرضيَّة، مع هيكلها ومذبحها وكلّ ما كان فيها، وعندئذٍ مات الزَّوج (أي الناموس)][٩]. **(يتبع)**

---

(٧) الفعل اليوناني "يُخلِّص": σώζω، يعني أيضًا "يشفي".

(٨) القدِّيس أثناسيوس الرَّسولي، "تجسد الكلمة"، ٤: ٣.

(٩) "شرح رومية"، الكتاب السادس: ٧: ١٠. ويُشير الأب متَّى المسكين إلى الصليب كحدثٍ أساسيٍّ تمَّ فيه موت الناموس (انظر: "شرح رومية"، ٧: ١ – ٦، ص ٣٢٤، ٣٢٥).

****

صَدَرَ حديثًا

مُجلَّد

مجلة مرقس ٢٠٢٤م

(عن الشهور من يناير – ديسمبر ٢٠٢٤م؛

ما عدا شهرَي يوليو وأغسطس ٢٠٢٤م، وهما العطلة السنويَّة للمجلة)

****

من
التراث الكنسي

معرفة الله
كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة
من خلال المسيح[1]
(١٦)

إنَّه لمن الصَّعب بل غاية فى الصُّعوبة معرفة شخصٍ ما لو لم يَخْتَر هذا الشَّخص أنْ ينفتح ويُعلن ذاته لنا. ولكن هذا ما فعله الله في شخص يسوع، لقد انفتح بنفسه لنا. فى خدمة صلاة باكر في الكنيسة اليونانية يُقال: "**الله هو الرَّب وقد أَظهَر نفسه لنا**"، وذلك بمعنى أنَّه مِن المستحيل معرفة الله بعيدًا عن يسوع: **«اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ»** (يو ١: ١٨). واحدٌ فقط هو مَن يكون في حضن الآب ويكون في أقرب علاقة ممكنة له؛ هذا هو يسوع الذي يمكنه جَعْل الله الآب مُعْلَنًا لنا، لذلك قال القدِّيس بولس الرَّسول: **«لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَيْنَكُمْ إِلاَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا»** (١كو ٢: ٢). إنَّه فقط مِن خلال يسوع يمكننا أنْ نعرف الله، لأنَّ يسوع هو الله المُتجسِّد. قال الرَّبُّ يسوع: **«أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»** (يو ١٠: ٣٠)، كما قال: **«الَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي»** (يو ١٢: ٤٥).

عندما نسعى لنعرف يسوع، نسعى في نفس الوقت لنعرف الآب والرُّوح القدُس. يسوع هو الباب الموصِّل للآب، والرُّوح القدُس هو مفتاح الباب. الله يُظْهِر نفسه لنا مِن خلال يسوع الذي فيه نرى ملء الله. لو لم يُعلن الله ذاته طوعيًّا فى المسيح، ما كنَّا سنعرف بسهولة أيَّ شيء عن الله. عندما أشارت المرأة السامريَّة إلى المسيَّا الآتي، قال لها يسوع: **«أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ»** (يو ٤: ٢٦). فلاديمير لوسكي Vladimir Lossky يُسَمِّي تجسُّد المسيح: **"أقصى درجات التجلِّي الإلهي".**

وهكذا في يسوع يصبح المتعالي والمتسامي حاضرًا وحالًّا، والذي لا يُدْركه العقل ويفوق

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy.*

التصوُّر يمكن إدراكه وتصوُّره مِن خلال الرُّوح القدُس، مثلما حَملت والدة الإله الثيئوتوكس به، والذى لا يمكن الوصول إليه، يصبح مِن الممكن الوصول إليه فى المسيح يسوع، الذي يولد ويوضع في مذود في بيت لحم، ونصرخ فى رهبة وخشوع مع القدِّيس يوحنا الإنجيلي ونقول:

- «اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا. الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١يو ١:١ – ٣).

في كلِّ عام، نرنِّم أثناء الاحتفال بعيد الميلاد أنَّ الشَّخص الذي يولد الآن هو الله الموجود منذ قديم الأزل وهو الذي يولَد الآن كطفل. مَن هو قبْل الزمان وما قَبْل التَّاريخ، يدخل التَّاريخ فى زمانٍ ومكانٍ محدَّدَيْن.

”اليوم مَن يَمسك الخليقة فى كفِّ يده، وُلِد مِن عذراء. مَن لا يمكن فى جوهره الإمساك به، يتمُّ لفُّه بقماطٍ في خِرَق. الله يوضع فى مذود، وهو الشَّخص الذى خلق السماوات منذ البدء“!

اِدَّعى الغنوسيُّون Gnostics في القرون الأولى أنَّهم يستطيعون أنْ يصلوا إلى الله بأنْفسهم وبقوَّة عقولهم، ومِن خلال المعرفة يصبحون مِثْل الله. تصدَّى القدِّيس إيرينيئوس St. Irenaeus لهذا الفِكْر، فقال:

[ما علَّمه الربُّ حقًّا هو هذا: لا أحد يستطيع أنْ يعرف الله لو لم يُعَلِّمه الله. وبمعنى آخر: مِن دون الله، الله لا يمكن معرفته؛ والأكثر مِن ذلك، أنَّ مشيئة الآب هي أنْ يُعْرَف الله، ولا أحد يستطيع أنْ يَعْرف الآب مِن غير كلمة الله. وهذا يعني: ما لم يُعْلِن الابن نفسه، لا يستطيع أحدٌ أنْ يعرف الابن بدون مسرَّة الآب].

أكَّد الأب ديادوخوس الفوتيكي Diadochus of Photiki في القرن الخامس الميلادي أنَّ معرفة الله هي هبة مِن نِعَم الله، وهي تُعطَى لهؤلاء الذين يُعِدُّون أنفسهم لاستقبالها مِن خلال التَّوبة والطَّاعة. ملء جمال ومعرفة الله هما عطيَّة تُشْعِل القلب وتُنْعِش العقل بحقيقة الله فى وهج نورٍ لا يوصف. معرفة الله تُوَحِّد الرُّوح مع الله فى شركةٍ أبديَّة لا تنحلّ.

أهميَّة معرفة الله فى استعلان ذاته العُليا من خلال الابن، لُخِّصَت عن طريق تيسا بيلسكي Tessa Bielecki عندما قالت:

"أنت لا تستطيع أنْ تحبَّ ما لا تعرفه، لذا عليكَ أنْ تعرف المسيح التاريخي مِن خلال الكُتُب المقدَّسة. تعرَّف على المسيح الكوني مِن خلال الطَّبيعة ومِن خلال إعلانه الإلهي في الكون كلّه، بما فى ذلك الأشخاص الآخرين. وتعرَّف على المسيح الرُّوحي السرِّي مِن خلال الصَّلاة والتأمُّل[٢]".

تعرَّف على المسيح بكامله:

– المسيح التَّاريخي في الكُتُب المقدَّسة، لأنَّنا لا نقرأ فقط عن المسيح في الكُتُب المقدَّسة، بل نتقابل أيضًا معه.

– المسيح الكَوْني مِن خلال الطَّبيعة.

– المسيح الرُّوحي السرِّي Mystical مِن خلال الصَّلاة والتأمُّل.

– المسيح القدُّوس الذي يحيا في حياة القدِّيسين.

بمعرفة المسيح بكامله ستأتي لمعرفة الله، لذلك يقول القدِّيس بولس: **«اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ» (٢كو ٥: ١٩).**

يشرح القدِّيس أمبروسيوس St. Ambrose لماذا يجب أنْ نسعى في المسيح فقط لمعرفة الإعلان الكامل عن الله! فيقول:

[لو أنَّك ترغب أنْ تُداوي جروحك، فهو طبيبك. لو أنَّك مشتعلٌ بالحمَّى، فهو ينبوعك للماء البارد. لو أنَّك مثقَّلٌ بالآثام، فهو مبرِّئك. لو أنَّك تحتاج لمساعدة، فهو قوَّتك. لو أنَّك تخاف الموت، فهو حياتك. لو أنك تريد السَّماء، فهو طريقك. لو أنَّك تهرب مِن الظُّلمة، فهو نورك. لو أنَّك تبحث عن الطَّعام، فهو غذاؤك. «ذُوقُوا وَانْظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبَّ! طُوبَى لِلرَّجُلِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ»].

(يتبع)

---

(2) Tessa Bielecki. *Essay in Speaking of Silence*، edited by Susan Walker. Paulist Press. Mahwah، NJ. 1987.

بحث تاريخي

أديرة الملاك ميخائيل الأثريَّة في مصر

(٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطية
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

٤ – دير الملاك ميخائيل بجرجا:

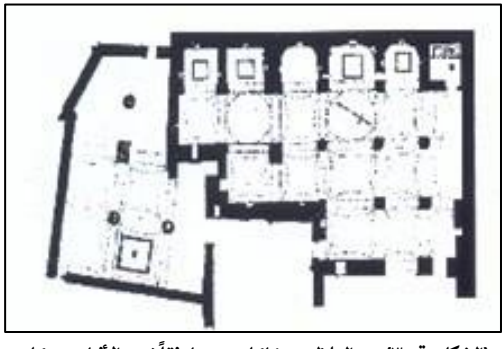

(الشكل رقم ٣) دير الملاك ميخائيل بجرجا، نقلًا عن الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٩.

تحوَّل هذا الدير القبطي إلى كنيسة مُشيَّدة بالقرب من قرية نجع الدير في مواجهة قرية جرجا. وقد شُيِّد دير الملاك ميخائيل بجرجا بالقرب من عدة جبَّانات ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ **(الشكل رقم ٣)**، وعلى الطريق الشرقي لأخميم والمؤدِّي إلى نجع حمادي. وكان هذا الدير من أكبر وأهم الأديرة القبطية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي، حيث كان يعيش فيه ما يقرب من مائة راهب تقريبًا. ويَعتَقِد البعض أنَّ هذا هو دير الحميدات الذي استُشهِدَت فيه القدِّيسة فيرونيا[١].

وأقرب جبَّانة للكنيسة الحاليَّة يتمُّ دفن أموات أقباط جرجا فيها حتى الآن. ويُعتَبَر كلود سيكارد هو أول باحث أشار إلى هذا الدير، ولكن باعتباره كنيسة بعد أن زار هذه المنطقة الأثريَّة سنة ١٧١٤م[٢]. وهو ما أكَّده بعض الباحثين والدارسين الآخرين. وفي بداية القرن العشرين، نشر كلارك وصفًا توضيحيًّا لتخطيط دير الملاك ميخائيل بجرجا[٣]. وتتشابه عمارة كنيسة دير الملاك ميخائيل بجرجا مع كنائس مدينة أخميم.

---

(١) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٩.

(2) G. Lefevbre, *Recueil des inscriptions grecques-chrétiennes d'Égypte*, Le Caire, 1907, p. 68; C. Sicard, *Oeuvres*, (ed.) S. Sauneron & M. Martin, *Bibliothèque d'études* 83-85, Le Caire, 1982, Vol. 2, p. 72.

(3) R. Pococke, *A Description of the East and Some Other Countries*, London, 1743-1745, p.

فقد كان بها ثلاثة هياكل وحجرتان في الجانبَين. وتمَّت إزالة الحجرة الشمالية وإضافة هيكلَين بدلًا منها. وفي شمال الكنيسة من الخارج، يجد الزائر بئرًا في فناء صغير الحجم تُغطِّيه قباب. وفي غرب هذا الفناء، يوجد مغطس مربع الشكل يمتلئ بالمياه في عيد الغطاس.

٥ – دير الملاك ميخائيل أو دير باخوم بإدفو(٤):

شُيِّد هذا الدير الهام على بُعْد سبعة كيلومترات غرب مدينة إدفو(٥). وقد زاره ووصفه الباحث الألماني أوتو ميناردوس. وتتكوَّن كنيسته الأثريَّة من أربعة هياكل وصحن به ثلاثة خوارس منفصلة بواسطة حوائط وأكتاف. ومدخل كنيسة هذا الدير في الشمال الغربي. وفي الجهة الغربية، توجد المعمودية المؤرَّخة من القرنين الثامن عشر – التاسع عشر الميلاديَّيْن. وتمَّت تغطية كنيسة دير الملاك أو دير باخوم بإدفو بالقبوات والقباب أثناء أعمال ترميمها وتجديدها.

٦ – دير الملاك ميخائيل بمراغا:

أشار الإدريسي إلى قرية بهذا الاسم بالقرب من قرية الشيخ عبادة Antinoë بمحافظة

82; F.L. Norden, *Voyage d'Égypte et de Nubie*, (ed.) L. Anglès, Paris, 1795-1798, Vol. 2, p. 76; S. Clarke, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, Oxford, 1912; Otto Meinardus, *Christian Egypt. Ancient and Modern*, Cairo, 1965, pp. 300-301; 2nd ed., Cairo, 1977, pp. 412-413; R.G. Coquin & Maurice Martin S.J., "Dayr al-Malak Mikha'il (Jirja)", *CoptEnc.* Vol. 3, New York, 1991, 825b-826b.

(٤) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة فى مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢١١-٢١٢؛ شيرين صادق الجندي، "أديرة قبطية في مصر باسم القدِّيس باخوم"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٣٨)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (نوفمبر ٢٠٢٢)، ص ٣٧ - ٤٣.

(5) S. Clarke, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, Oxford, 1912, pp. 111-113; G. Daressy, "Renseignements sur la provenance des stèles coptes du Musée du Caire", *Annales du Service des antiquités de l'Égypte* 13, (1914), pp. 266-271; H. Hyvernat, "Coptic Literature", in: *the Catholic Encyclopedia*, Vol. 16, pp. 27-30, New York, 1914; G. Daressy, "Indicateur topographique du Livre des perles enfouies et du mystère précieux", *BIFAO* 13, (1917), pp. 175-230 and *BIFAO* 14, (1918), pp. 1-32; De L. O'Leary, "Christian Egypt*", Journal of Egyptian Archaeology* 9, (1923), pp. 8-26; Ahmad Fakhry, "A Report of the Inspectorat of Upper Egypt", *Annales du Service des antiquités de l'Égypte* 44, (1947), pp. 25-54; Otto Meinardus, *Christian Egypt. Ancient and Modern*, Cairo, 1965, p. 326; 2nd ed., Cairo, 1977, p. 441; R.G. Coquin & Maurice Martin S.J., "Dayr al-Malak Mikha'il or Dayr Bakhum (Idfu)", *CoptEnc.* Vol.3, New York, 1991, 825a-825b.

المنيا. كما أشار إليها محمد رمزي باسم al-Maraghat. واعتقد جوتيه أنَّ هذا اسمٌ عربي وليس اسمًا مصريًّا قديمًا. وقد أشار المؤرِّخ المملوكي المقريزي[٦] إلى وجود كنيسة في هذه القرية دون أن يذكر اسم القدِّيس الذي شُيِّدت على اسمه[٧].

٧ – دير الملاك ميخائيل بنجع الدير:

يُعتَقَد أنَّ دير الملاك ميخائيل قد بُنِيَ في بداية القرن السادس عشر الميلادي شرق نجع الدير على بُعْد خمسة وثلاثين كيلومترًا جنوب مدينة أخميم. ويوجد به كنيسة بالقرب من جبَّانة وبعض المنازل. وقد أشار بيتر جروسمان إلى كنيسة هذا الدير[٨]. وأقدم جزء بها به ثلاثة هياكل مستطيلة يكتنفها حُجرات مستطيلة في كلِّ ركن. والهيكل الأوسط هو أكبر الهياكل. وفي كلِّ هيكل حنية يعلوها نصف قبَّة مُزخرفة. وفي الناحية الغربية منهم خمس حُجرات. ويُعتَقَد أنَّ حوض اللَّقَّان كان موجودًا في مبنى مستقل. كما أُضيف بئر في الناحية الشمالية من هذه الكنيسة التي يصعب تأريخها إلى حدٍّ ما.

٨ – دير الملاك بنقادة:

سبقت الإشارة إلى هذا الدير المُشيَّد على بُعْد ثمانية كيلومترات جنوب غرب نقادة في مقالتنا المنشورة سنة ٢٠١٩م[٩] **(الشكل رقم ٤).** وبدير الملاك بنقادة كنيستان: إحداهما في الجنوب الغربي وهي مُتهدِّمة، وقد أشار إليها ووصفها

(الشكل رقم ٤) دير الملاك بنقادة. نقلًا عن الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٩٦.

(٦) المقريزي، كتاب: *"المواعظ والاعتبار بذِكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية"* ، ج٢، بولاق، ١٨٣٥.

(7) Abd al-Latif, *Relation de l'Égypte de Abd al-Latif*, translation and Edition of A.I.S. de Sacy, Paris, 1810; al-Idrisi al-Sharif, *Kitab Nuzhat al-Mushtaq (Book of the pleasures of the Eager)*, French translation P.A. Jaubert in 2 Vols., Recueil de voyages et de mémoires publiés par la société de Géographie 5-6, Paris, 1836-1840, Repr. 1975, Vol. 1, p. 124; H. Gauthier, "Notes géographiques sur le nome Panopolite", *Bulletin de l'Institut français d'archéologie orientale* 4, (1905), pp. 75-76; R.G. Coquin & Maurice Martin S.J., "Dayr al-Malak Mikha'il (Maraghah)", *CoptEnc.* Vol. 3, New York, 1991, 826b.

(8) P. Grossmann, *Mittelalterliche Langhauskuppel Kirchen und verwnadte Typen in Oberägypten*, Glüchstadt, 1982, p. 196 ff.

(٩) شيرين صادق الجندي، "أهم الأديرة القبطية بنقادة (١)"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٠٩)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (ديسمبر ٢٠١٩)، ص١١-١٤؛ (جزء ٢)، *مجلة مرقس*، العدد (٦١٠)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (يناير ٢٠٢٠)، ص ١٤-١٦.

كلارك، وكذلك أوتو ميناردوس[١٠]؛ وكنيسته الأخرى من القرن الثامن عشر الميلادي – التاسع عشر الميلادي، ويتمُّ الدخول إليها من خلال صالة صغيرة. وتحتوي الكنيسة على ثلاثة هياكل وخورس وصحن به ست بواكٍ. كما يعلوها قباب منخفضة من الطوب اللَّبن.

٩ – دير الملاك بقامولا:

يُعتَبَر دير الملاك بقامولا آخر الأديرة القبطية المُشيَّدة في نهاية نقادة على بُعْد ستة عشر كيلومترًا جنوبها[١١] **(الشكل رقم ٥)**، ويتبقَّى منه كنيسة قديمة من القرنين السادس عشر – السابع عشر الميلاديَّين. وهي تتشابه في عمارتها مع كنيسة دير الأنبا توماس بشنشيف بمدينة أخميم. وهيكلها نصف دائري يُحيط به حجرة جانبية من الناحيتين، بالإضافة إلى خورس وصحن صغير يحتوي على عدَّة حُجرات. وفي عصورٍ متأخِّرة، أُضيفت هياكل جديدة.

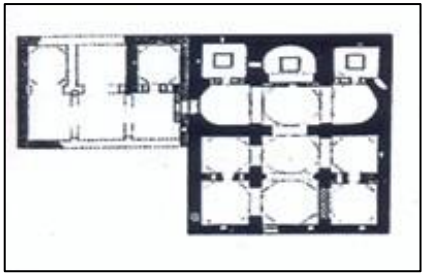

(الشكل رقم ٥) دير الملاك بنقادة. نقلًا عن الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٩٦.

١٠ – دير الملاك ميخائيل "الريرمون"[١٢]:

أشار المؤرِّخ المملوكي تقي الدين المقريزي إلى دير الملاك ميخائيل "الريرمون"، مؤكِّدًا أنه كان مُكرَّسًا لرئيس الملائكة غبريال. وفي عام ١٧١٤م، زار سيكارد هذا الدير الأثري القبطي. وأكَّد كلارك على أنَّ كنيسة "الريرمون" عُرِفَت باسم: "دير الملاك ميخائيل". كما كتب عنه نوردون، وذكره جومار باسم: Dayr al-Aysh[١٣]. وتجدر الإشارة كذلك إلى أنه قد شُيِّدَت

(10) S. Clarke, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, Oxford, 1912, p. 215, n"9; Otto Meinardus, *Christian Egypt. Ancient and Modern*, Cairo, 1965, pp. 311-312; 2nd ed., Cairo, 1977, p. 426; R.G. Coquin &. Maurice Martin S.J, "Dayr al-Malak Mikha'il or Dayr Bakhum (Naqadah)", *CoptEnc.* Vol. 3, New York, 1991, 827a.

(11) A.J. Butler, *The Ancient Coptic Churches of Egypt*, 2 vols., Oxford, 1895; S. Clarke, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, Oxford, 1912; P. Grossmann, *Mittelalterliche Langhauskuppel Kirchen und verwnadte Typen in Oberägypten*, Glüchstadt, 1982;

الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٩٩.

(١٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٧.

(13) F.L. Norden, *Voyage d'Égypte et de Nubie*, (ed.) L. Anglès, Paris, 1795-1798, Vol. 2, p. 46;

الكنائس لرئيس الملائكة ميخائيل في أغلب المدن المصرية لا سيَّما في مدينة القاهرة، حيث توجد كنيسة الملاك القبلي ببابيلون الدَّرج بالقرب من طاحونة البابا كيرلس السادس في زهراء المعادي، إلى جانب كنيسة الملاك في حدائق القبة.

الخاتمة:

مِمَّا سبق، كثرت وتنوَّعت الأديرة القبطية التي كُرِّست للملاك ميخائيل في سائر الأقطار المصرية. فمنها أديرة أثريَّة ومنها أديرة أخرى حديثة، منها ما تهدَّم ومنها كذلك ما تمَّ ترميمه وتجديده. واختلفت السِّمات والخصائص المعماريَّة بين كلِّ هذه الأديرة القبطية الهامة مِمَّا يؤكِّد على براعة المعماريين الذين شيَّدوها على مرِّ العصور التاريخيَّة المختلفة. ووجود هذه الأديرة الخاصة برئيس الملائكة ميخائيل، هي دليلٌ على أهميته في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية؛ ممَّا يؤكِّد على أنَّ انتشارها في مصر العُليا والسُّفلَى، هو خير دليل على انتشار الرهبنة منذ العصور المسيحية الأولى في سائر المحافظات المصرية.

Jomard, *Description de l'Égypte*, Vol. 4, 1820-1826, p. 321; S. Clarke, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, Oxford, 1912, p. 208, nº30; C. Sicard, *Oeuvres*, (ed.) S. Sauneron & M. Martin, Bibliothèque d'études 84 Le Caire, 1982, Vol. 2, p. 100; R.G. Coquin & Maurice Martin S.J., "Dayr al-Malak Mikha'il (al-Rayramun)", *CoptEnc.* Vol. 3, New York, 1991, 828b-829a.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدِّيس أنبا مقار**

سيرة شهداء شيهيت

الشيوخ التسعة والأربعين

ومرتينوس وزيوس

(بحسب مخطوطات سِيَر: ٧٤، ٣٧، ٩٣

من مكتبة دير القدِّيس أنبا مقار)

والكتاب ٤٠ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****

جماليات النص الكتابي[١]

إعداد: د. عادل زكري

الكتاب المقدَّس ليس كتابًا علميًّا، ولكن لغته تندرج تحت تصنيف الأسلوب الأدبي البديع. والله في كتابه المُوحَى به للبشر بأنفاسه الإلهيَّة، استخدم أساليب بلاغيَّة ومُحسِّنات بديعيَّة، ليُخبرنا عن حقِّه ومحبته لنا؛ ومِنْ ثَمَّ لكي نتشارك نحن محبته تجاه بعضنا البعض، قولًا وفِعلًا.

تُعرَّف البلاغة بأنَّها مُحاولة لتقديم المعنى بطريقةٍ يكون فيها للكلام تأثيرٌ قوي في النفس، كذلك لتأكيد توصيل رسالة مُعيَّنة بطُرُقٍ وأساليب مختلفة.

يُقدِّم هذا الكتاب بعض الأساليب والصُّوَر البلاغيَّة التي استُخدِمَت في النَّصِّ الكتابي ومُقاربتها في الترجمات العربية للكتاب المقدَّس، وأمثلة عليها.

(١) التشبيه المُرسَل: وهو عبارة عن مقارنة بالمُماثلة بين مُشَبَّهٍ ومُشَبَّهٍ به في وجهٍ من الوجوه، وتظهر فيه أداةُ التشبيه مثل: (ك، كأنما، مثل، شِبْه، أشبه). بعض الأمثلة:

+ (مز ١: ٣): «فَيَكُونُ **كَشَجَرَةٍ** مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ».
+ (مز ١: ٤): «لَيْسَ كَذلِكَ الأَشْرَارُ، لكِنَّهُمْ **كَالْعُصَافَةِ** الَّتِي تُذَرِّيهَا الرِّيحُ».
+ (مز ٥: ١٢): «لأَنَّكَ أَنْتَ تُبَارِكُ الصِّدِّيقَ يَا رَبُّ. **كَأَنَّهُ** بِتُرْسٍ تُحِيطُهُ بِالرِّضَا».
+ (١بط ٢: ٢٥): «لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ **كَخِرَافٍ** ضَالَّةٍ، لكِنَّكُمْ رَجَعْتُمُ الآنَ إِلَى رَاعِي نُفُوسِكُمْ وَأُسْقُفِهَا».

(٢) التشبيه المُتكرر: يظهر هذا النوع عندما يتضمن الكلام أكثر من تشبيه مُنفصل ومُستقِل. مثل:

+ (إش ١: ١٨): «إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ **كَالْقِرْمِزِ** تَبْيَضُّ **كَالثَّلْجِ**. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ **كَالدُّودِيِّ** تَصِيرُ **كَالصُّوفِ**».
+ (إش ٣٢: ٢): «وَيَكُونُ إِنْسَانٌ **كَمَخْبَأٍ** مِنَ الرِّيحِ وَسِتَارَةٍ مِنَ السَّيْلِ، **كَسَوَاقِي** مَاءٍ فِي مَكَانٍ يَابِسٍ، **كَظِلِّ** صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ فِي أَرْضٍ مُعْيِيَةٍ».
+ (إش ٦٦: ١٢): «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: "هأَنَذَا أُدِيرُ عَلَيْهَا سَلاَمًا **كَنَهْرٍ**، وَمَجْدَ الأُمَمِ **كَسَيْلٍ** جَارِفٍ"».

(٣) المَثَل القصصي: قد يأخذ المَثَل في العهد الجديد شكل عبارة حكمة (قول مأثور). بعض الأمثلة:

+ (متى ٥: ١٤) : «لَا يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَل».

---

(١) يقع الكتاب في ٩٩ صفحة، طبعة ثانية مُنقَّحة: ديسمبر ٢٠١٥، إعداد: د. عادل زكري، الناشر: مدرسة الإسكندريَّة.

+ (متى ٦: ٢٤): «لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ».
+ (لوقا ٦: ٤٠): «لَيْسَ التِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنْ مُعَلِّمِهِ».

(٤) التشبيه البليغ: أمثلة:

• (مز ٢٣: ١): «الرَّبُّ رَاعِيَّ» • (مز ٨٤: ١١): «لأَنَّ الرَّبَّ، اللهَ، شَمْسٌ ومِجَنٌّ» • (إش ٤٠: ٦): «كلُّ جَسَدٍ عشبٌ» • (مت ٥: ١٣): «أنتُم مِلْحُ الأَرضِ» • (يو ٨: ١٢): «أَنَا هُوَ نُورُ العَالِمِ».

لاحظ أَنَّنا أمام النَّصِّ اللُّغوي، علينا أنْ نتَّبع القواعد الحاكمة للُّغة، لنحكم: هل هذه العبارة هي تشبيهٌ بليغ أم فيها إعجاز؟ يمكن تشبيه ذلك كالتالي: إذا جاء ابنك قائلًا: "لقد رأيتُ أسدًا في الفصل". هناك احتمالان: إمَّا أنَّ ملامح وجهه يبدو عليها الخوف والرُّعب، وفي هذه الحالة، لن يكون كلامه تشبيهًا؛ أو لا يظهر على وجهه أيُّ اضطراب أو خوف، وهنا نفهم أنَّه مُعجبٌ بقوَّة وشجاعة أستاذه.

+ تعبير يد الله أو ذراع الله أو يمينه، كما وَرَدَ في سِفْر الخروج ص ١٥، هي كناية عن أفعال الله المُقتدرة.

(٥) التجسيد: مثل نَسْب سِمَات بشريَّة لأعضاء الجسم. بعض الأمثلة:

+ (مز ٧٣: : ٩): «جَعَلُوا **أَفْوَاهَهُمْ** فِي السَّمَاءِ، **وَأَلْسِنَتُهُمْ** تَتَمَشَّى فِي الأَرْضِ».
+ (أي ٢٩: ١١): «لأَنَّ **الأُذُنَ** سَمِعَتْ فَطَوَّبَتْنِي، **وَالعَيْنُ** رَأَتْ فَشَهَدَتْ لِي».
+ (مت ٦: ٢) «وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تُعَرِّفْ **شِمَالَكَ** مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ».

(٦) الأَنْسَنَة: أي نَسْب سِمَات إنسانيَّة لله. أمثلة على ذلك:

+ مثلما يُنسَب إليه **القلب**: «فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ» (تك ٦: ٦).
+ ويُنسب إليه **الأحشاء**: «تَطَلَّعْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَانْظُرْ مِنْ مَسْكَنِ قُدْسِكَ وَمَجْدِكَ: أَيْنَ غَيْرَتُكَ وَجَبَرُوتُكَ؟ زَفِيرُ أَحْشَائِكَ وَمَرَاحِمُكَ نَحْوِي امْتَنَعَتْ» (إش ٦٣: ١٥).
+ ويُنسَب إليه **الحِضن**: «كَرَاعٍ يَرْعَى قَطِيعَهُ. بِذِرَاعِهِ يَجْمَعُ الْحُمْلاَنَ، وَفِي حِضْنِهِ يَحْمِلُهَا، وَيَقُودُ الْمُرْضِعَاتِ» (إش ٤٠: ١١).

(٧) نَسْب مشاعر إنسانيَّة لله: مثل الحزن والغيرة والاستياء. أمثلة على ذلك:

+ (هو ١١: ٨): «قَدِ انْقَلَبَ عَلَيَّ قَلْبِي. اضْطَرِمَتْ مَرَاحِمِي جَمِيعًا».
+ (زك ١: ١٤): «هَكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: غِرْتُ عَلَى أُورشَلِيمَ وعَلَى صِهيَونَ غَيْرَةً عَظِيمَةً».
+ (زك ١: ١٥): «أنا مُغضَبٌ بِغَضَبٍ عَظِيمٍ عَلَى الأُمَمِ المُطْمَئِنِّينَ».

القاعدة الحاكمة في فهم نَسْبِ صفاتٍ بشريَّة لله تكون كالآتي: إذا أخذنا بحرفيَّة هذه الصفات، جعلنا الله أشبه بكائنٍ بشري بقدراتٍ فائقة؛ وإذا لم يُعبِّر الله بما يكفي عن نفسه بهذه الصفات،

يصبح الله لُغزًا مُغلقًا لا نعرفُ عنه شيئًا.

(٨) كلمات أو جُمل تبدأ بحروفٍ مُرتَّبة أبجديًّا: أمثلة على ذلك:

+ (مزمور ١١١) يحتوي على ٢٢ بيتًا، ينتهي كلٌّ منها بحرف من الأبجديَّة العبريَّة المُكوَّنة من ٢٢ حرفًا.
+ (مز ١١٩) عبارة عن ١٧٦آية، مُقسِّمة إلى ٢٢ مجموعة. كلُّ مجموعة ٨ آيات (٨×٢٢= ١٧٦).

وكلُّ ٨ آيات تبدأ بنفس الحرف الأبجدي (بالطبع هذا يستحيل الحفاظ عليه عند ترجمته للغة أخرى).

+ (أمثال ٣١: ١٠ – ٣١) – الخاص بالمرأة الفاضلة – مُرتَّبٌ أبجديًّا بحسب عدد الحروف الأبجديَّة العبريَّة.

(٩) التضاعُف: تكرار نفس الكلمات بنفس المعنى للتأكيد وإثارة الانتباه إلى أهمية خاصة، ولا سيَّما عندما يُنادَى الشخص باسمه مرتين. من أمثلة ذلك: + «إبراهيم إبراهيم» (تك ٢٢: ١١).
+ «يعقوب يعقوب» (تك ٤٦: ٢). + «موسى موسى» (خر ٣: ٤). + «مرثا مرثا» (لو ١٠: ٤١).
+ «سمعان سمعان» (لو ٢٢: ٣١). + «شاول شاول» (أع ٩: ٤). + «يا ربُّ يا ربُّ» (مت ٧: ٢١).

(١٠) تكرار النهايات: تكرار نفس الكلمات في نهايات جُمل مُتتابعة. ومن أمثلة ذلك:
+ (مز ١١٥: ٩ – ١١): «يَا إِسْرَائِيلُ، اتَّكِلْ عَلَى الرَّبِّ. هُوَ مُعِينُهُمْ وَمِجَنُّهُمْ. يَا بَيْتَ هَارُونَ، اتَّكِلُوا عَلَى الرَّبِّ. هُوَ مُعِينُهُمْ وَمِجَنُّهُمْ. يَا مُتَّقِي الرَّبِّ، اتَّكِلُوا عَلَى الرَّبِّ. هُوَ مُعِينُهُمْ وَمِجَنُّهُمْ».
+ (مزمور ١٣٦): تتكرر فيه عبارة: «لِأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ» بعدد آياته الـ ٢٦.

(١١) التكرار الدوَّار: تكرار نفس العبارة من مكانٍ لآخر في النَّصِّ الكتابي. من أمثلة ذلك:
+ تكرار عبارة «كَيْفَ سَقَطَ الجَبَابِرَةُ» (في ٢ صم: ٢٩، ٢٥، ٢٧).
+ تكرار عبارة «... رَبُّ الجُنُودِ مَعَنَا. مَلْجَأُنَا إِلَهُ يَعْقُوبَ» (في مزمور ٤٦: ٧، ١١).
+ تكرار عبارة «يا الله أَرْجِعْنَا، وأَنِرْ بِوَجْهِكَ فَنَخْلُصِ» (في مزمور ٨٠: ٣، ٧، ١٩).

(١٢) الترادُف: تكرار كلمات مُترادفة المعنى ومختلفة في أصلها (جذر الكلمة). ومن الأمثلة:
+ (خر ١: ٧): «وَأَمَّا بَنُو إِسْرَائِيلَ فَأَثْمَرُوا وَتَوَالَدُوا وَنَمَوْا وَكَثُرُوا كَثِيرًا جِدًّا، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْهُمْ».
+ (مز ٣٢: ١، ٢): «طوبَى لِلَّذي غُفِرَ إثمُهُ وسُتِرتْ خطيَّتُهُ. طوبَى لِرَجُلٍ لا يَحْسِبُ له الرَّبُّ خطيَّةً».

+ (خر ٣٤: ٦، ٧): «الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ».

لاحظ في المِثَالَيْن السابِقَيْن أنَّ هناك أسماء مختلفة للخطية والإثم والمعصية، مع وجود فروقٍ طفيفة بينهم: ١- المعصية: وتعني تمرُّد أو كَسْر أو نقض العهد. ٢- الخطيَّة: هي التعدِّي والإخفاق في إصابة الهدف. ٣- الإثم: هو إعوجاج أو شرود أو جنوح أو زيغان.

(١٣) المقطع المُتكرِّر: أي تكرار لنفس العبارة في نهاية فقرات مُتتالية. أمثلة:

+ تكرار عبارة: «مَعَ كُلِّ هَذَا لَمْ يَرْتَدَّ غَضَبُهُ، بل يَدُهُ مَمْدُودَةٌ بَعْدُ» (إش ٩: ١٢، ١٧، ٢١، إش ١٠: ٤).
+ تكرار عبارة: «إِنَّهُمْ قَدْ اِسْتَوْفَوْا أَجْرَهُم» (متى ٦: ٢، ٥، ١٦).
+ تكرار عبارة: «مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُوحُ لِلكَنَائِسِ» (رؤ٢: ٧، ١١، ٢٩، رؤ ٣: ٦، ١٣، ٢٢).

(١٤) صيغة المُبالغة: حيث يتمُّ تجاوُز المعنى الحرفي بغرض إضافة المزيد من التأكيد. أمثلة:

+ (مز ٦:٦): «أعَوِّمُ فِي كلِّ لَيْلَةٍ سَرِيري بِدُمُوعِي. أُذَوِّبُ فِراشِي». تعبيرًا عن حزنه الشديد.
+ (مز ١١٩: ١٣٦): «جَدَاوِلُ مِياهٍ جَرتْ مِن عَينيَّ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَحْفَظُوا شَرِيعَتَكَ».
+ (مت ٢٣: ٢٤): «أَيُّهَا القَادَةُ العُمْيَانُ! الَّذِينَ يُصَفُّونَ عَنِ البَعُوضَةِ ويَبْلَعُونَ الجَمَلَ».

(١٥) أسلوب التهوين: استخدام جملة منفيَّة للتأكيد على حقيقة مُثْبَتة. من أمثلة ذلك:

+ (أع ١: ٥): «لأَنَّ يُوحَنَّا عَمَّدَ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ، لَيْسَ بَعْدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ». هذه العبارة المنفية تعني عبارة أخرى مُثبتة، معناها: "بعد أيامٍ قليلة".
+ (أع ١٢: ١٨): «فَلَمَّا صَارَ النَّهَارُ حَصَلَ اضْطِرَابٌ لَيْسَ بِقَلِيلٍ بَيْنَ الْعَسْكَرِ: تُرَى مَاذَا جَرَى لِبُطْرُسَ؟».
+ (أع ٢٠: ١٢): «وَأَتَوْا بِالْفَتَى حَيًّا، وَتَعَزَّوْا تَعْزِيَةً لَيْسَتْ بِقَلِيلَةٍ».

(١٦) أسلوب التحقير: وعادةً يكون الهدف منه هو إعلاء شأن شخص أو شيء آخر. أمثلة:

+ (تك ١٨: ٢٧): «فَأَجَابَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: "إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أُكَلِّمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَرَمَادٌ"».
+ (١صم ٢٤: ١٤): «وَرَاءَ مَنْ خَرَجَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ؟ وَرَاءَ مَنْ أَنْتَ مُطَارِدٌ؟ وَرَاءَ كَلْبٍ مَيْتٍ! وَرَاءَ بُرْغُوثٍ وَاحِدٍ!».
+ (إش ٤٠: ١٥، ١٦): «هُوَ ذَا الأُمَمُ كَنُقْطَةٍ مِنْ دَلْوٍ، وَكَغُبَارِ الْمِيزَانِ تُحْسَبُ. هُوَ ذَا الْجَزَائِرُ يَرْفَعُهَا كَدُقَّةٍ!».

أخيرًا نقول: إنَّ الكتاب المقدَّس يتكوَّن مِنْ أشكالٍ أدبية مختلفة: رواية، شعر، نبوءة، تاريخ، ورسائل تعليمية ... إلخ. وكلُّ شكلٍ مِنْ هذه الأشكال يجب أنْ يُقرأ بعد فَهْم الخصائص اللُّغويَّة للشكل الأدبي الذي كُتب عليه. ومِنْ ثَمَّ، فإنَّ تفسيراتنا لكلمة الله تتأثر بشدَّة بمدى فهمنا للنَّصِّ الكتابي وخصائصه، وأنَّ الإلمام بهذه الخصائص، يُمكن أنْ يوفِّر علينا كثيرًا من التفسيرات الخاطئة والشائعة لكلمة الله.

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

Let us continue with spiritual Father, Father Matta El-Meskeen, his search for new thoughts in the Gospel of St John, adding to the previous issues. Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 48

"You will weep and lament, but the world will rejoice… but I will see you again and your heart will rejoice, and your joy no one will take from you" (John 16:20, 22).

THIS IS WEEPING AND LAMENTATING for the absence of Christ, for the disciples assumed it to be a permanent separation. Nevertheless, when Christ fulfilled His promise and appeared to them, they rejoiced with an exceedingly great joy.[1] From that hour, in which they saw Him and rejoiced, until this day, we still rejoice with their joy, for, just as the apostle Paul says, "Have I not seen Jesus Christ our Lord?"[2] Thus, we also see Him through revelation, for Christ reveals Himself to us in His word. When we experience Christ through Scripture, we rejoice and exult with a joy not of this world, for it is not a physical joy, but rather a joy of the revelation of truth and the presence of Christ.

The two disciples of Emmaus were walking toward their home saddened, when Christ saw them from above and secretly came down to join them in the same journey.[3] He started talking to them, expounding what was said about Him in the Psalms and in the Prophets. Finally, they constrained Him to enter with them into the house, and so He entered. To honor Him, they offered Him bread as if He were a guest, thus, Christ took the bread and broke. Through its breaking, the bread was the sanctified, so Christ appeared to them as who He really is. Thus, they rejoiced greatly, but He disappeared from before

[1] John 20:20.
[2] 1 Corinthians 9:1.
[3] Luke 24:13–35.

them. So the two disciples started telling each other about how, when He was talking to them on the way, they felt it in their hearts, and how their hearts were ignited with the warmth of their feeling of the Lord's presence, and they did not tell. Thus, "I will see you again and you will rejoice" was fulfilled to the letter.[4] For the absence of Christ distresses the heart, and if that lingers, the person will weep and mourn. When the people of the world see our weeping and mourning, they gloatingly exult. Nevertheless, if Christ returns and is seen by our hearts, we rejoice with a joy that no one can take from us anymore. This is what happened to the disciples, for when Christ died on the cross, the disciples became secluded, and they shut the doors of the Upper Room out of fear from the Jews, for they considered themselves to be orphans without a God and they were more sorrowful than one who is bereaved of a child. But, when Christ returned and they saw Him, they rejoiced with a great joy, and from that moment, joy extends across the years for it to be our joy also, and the joy of our children unto eternity.

Even though it appears to us, when we see Christ through revelation in His word, as if we were the ones who discovered His presence, it is in reality He who reveals Himself to us. Thus, the following saying is fulfilled, "he who loves Me… I will love him and manifest Myself to him."[5] This revelation of Christ continues to take place throughout all the ages in His living word that endures forever.

Christ is keeping His promise of "I will see you again and you will rejoice," even though it appears to everyone who sees Christ that he is the one who sees Him. The truth of the matter is that He is the One who sees us, and consequently, is revealed to us. For twenty centuries Christ has kept His promise, being revealed to those who love Him, so they see Him and rejoice in seeing Him. Those who have seen Him and those He saw, live among us, and their witness is true.

Now we live in our sorrow every day, because the world obstructs our peace and joy, and gives us the bitterness of persecution and hatred. Yet, Christ will see us from above and He will wipe every tear from our eyes, and compensate for the bitter days of the world with peace, joy, and great rest in His Father's bosom.

And so, greetings to sorrows if thus it is seen by God, for He has prepared for us a greater rest untouched by sorrow or weeping.

December 27, 2005

[4] John 16:22.
[5] John 14:21.

Chapter 49
"In the world you will have tribulation; but be of good cheer, I have overcome the world" (John 16:33).

THESE WERE Christ's final words with which He bade farewell to His disciples, and in which He revealed that they would start facing the world's tribulation after His ascension, especially for His name's sake. For Christ did not side with the Jews and the men of the synagogue, rather, He uncovered their works, and through His teachings that were against their conduct, He gained enmity from all the Jewish circles.

Nevertheless, Christ, through His revelation of the truth and the teachings of the good life, His uncovering of the wickedness of the Jewish groups' deeds, and by demolishing the religious traditions that were created by the Jews, had laid the foundation of the new covenant, its teachings, and its promises. This was analogous to the victory of Christ over that which stood against the truth in the world.

If Christ has left the world after He enlightened the way of life through His teachings, and He left it illuminated and guaranteed the walk on it through the care of the Spirit of God and the teachings of the Bible, He then worries no more over the destiny of those who believe in Him, especially that He has removed Satan from his falsifying of the truth and life, and He triumphed over him and cast him down: "I saw Satan fall like lightning from heaven."[1] Thus, He truthfully said, "I have overcome the world," meaning that He delivered to us His teachings and opened before us the way of truth and life in the midst of an envious, yet defeated, world.

Thus, faith in Christ became set, and the leadership of Christ victorious and triumphant. He has sent the Holy Spirit from the Father following His ascension: "Nevertheless I tell you the truth. It is to your advantage that I go away; for if I do not go away, the Helper will not come to you; but if I depart, I will send Him to you. And when He has come, He will convict the world of sin, of righteousness, and of judgment: of sin, because they do not believe in Me; of righteousness, because I go to My Father and you see Me no more; of judgment, because the ruler of this world is judged."[2] For that reason, we face an enemy that is broken, defeated, and terrified of the cross, easy to overcome with faith and defeat through the name of Christ and the Holy Spirit.

Thus, Christ's statement, "you will have tribulation," is in reality a defeated tribulation, triumphing through lies and counterfeit fear, which can be exposed by a

[1] Luke 10:18.
[2] John 16:7–11.

little child if he holds the cross in its face and calls on the name of the Lord. As for His saying, "be of good cheer, I have overcome the world," it is like handing over a world conquered by the name of the Lord, one which does not frighten us in any way.

Christ, after He has fulfilled our salvation and redemption on the cross, and offered us His peace which supports our presence in the world, sent us the Holy Spirit from the Father, to teach us and remind us of all of Christ's teachings. Consequently, there is no longer anything before us that would hinder our faith or threaten our peace, especially that He broke the sting of sin on the cross and crushed the pinnacle of the devil, dismissing him from heaven. Thus, He abolished his dominion over the earth, so when He says, "be of good cheer, I have overcome the world," it is to set in our hearts the courage of Christ, His authority, and to reinforce our faith with firmness and strength. For He who is with us from where Christ is, is immeasurably greater than that which is in the hand of the world and the devil. For we are by Christ surely victorious, and through the Spirit of Christ we dominate over all the false upheavals of the world.

Our faith in Christ is shielded by the strength of Christ and the Holy Spirit if we seek Him and take refuge in Him in every tribulation. For it is written that in our affliction, Christ is afflicted,[3] and in our persecution He is persecuted, "Saul, Saul, why are you persecuting Me?"[4] For the persecution of the believers echoes above where Christ is. Thus, He groans for our groaning and comes down to deliver us,[5] for now we have in heaven He who laments our weakness and leads our journey. For the apostle Paul, "it is no longer I who live, but Christ lives in me."[6] So, if this is Christ's work in us, then we are now more than conquerors,[7] because Christ is the leader of our journey, the speaker in our mouth, and the worker in us "to will and to do."[8]

December 27, 2005

---

[3] See Isaiah 63:9.
[4] Acts 9:4.
[5] See Exodus 3:7, 8; Psalms 18:6–9.
[6] Galatians 2:20.
[7] Romans 8:37.
[8] Philippians 2:13.

****

St Cyril the Great

"Our Father, Who art in Heaven"

O boundless liberality! O incomparable gentleness, and that befits Him alone! He bestows upon us His own glory: He raises slaves to the dignity of freedom… and permits us to call God Father as being admitted to the rank of sons. Of Him have we received this, together with all our other privileges… For we have been fashioned unto sonship by that birth which is spiritually wrought in us "*not by corruptible seed, but rather by the living and abiding Word of God*" (1Pet 1:23).

On Luke 11,2; Eng. Tr., Payne Smith, I, 325

Let Us Love Christ Alone

How then do we exchange this precious and intellectual essence of the soul, which is lovable and more valuable than all visible and invisible creation for leprous and corruptible material things, through ignorance, carelessness, negligence, and forgetfulness? How do we bind ourselves to earth, matter, the world and glory, loving superficial phenomena, and attending to the passing things of this age, being affectionally attached to them, when instead we ought to cast them off and shake away all earthly transient things and the corruptible thoughts of material things and dust, binding ourselves only to Christ in love, being wounded by a heavenly love for him alone, and, with a spiritual affection, being enamored of him alone?

Collection III, *Homily* 25. 4, 1.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Μακαρίου

Πῶς τοίνυν τὴν τιμίαν ταύτην καὶ νοερὰν οὐσίαν τῆς ψυχῆς, τὴν ἐράσμιον καὶ ὑπὲρ πᾶσαν κτίσιν ὁρατὴν καὶ ἀόρατον ἀξιολογωτέραν τυγχάνουσαν, δι᾽ ἄγνοιαν καὶ ῥαθυμίαν καὶ ἀμέλειαν καὶ λήθην ἀνταλλάσσομεν λεπροῖς καὶ ταλαιπώροις καὶ φθαρτοῖς ὑλικοῖς πράγμασι τῷ ἐν γῇ καὶ ὕλῃ καὶ κόσμῳ καὶ δόξῃ δεδέσθαι καὶ τὰ φαινόμενα ἀγαπᾶν καὶ τοῖς παρερχομένοις τοῦ αἰῶνος τούτου προσέχειν καὶ τῇ περὶ ταῦτα στοργῇ διακεῖσθαι, δέον ἀφ᾽ἑαυτῶν πάντα ῥίψαντας καὶ ἐκτιναξαμένους τὰ τῆς γῆς παρερχόμενα πράγματα καὶ τὰ τῆς ὕλης καὶ χοὸς φθαρτὰ διανοήματα Χριστῷ μόνῳ δεθῆναι τῇ ἀγάπῃ καὶ οὐρανίῳ ἔρωτι πρὸς αὐτὸν μόνον τετρῶσθαι καὶ πνευματικῷ φίλτρῳ αὐτοῦ μόνου ἐρᾶν;

SC 275, p. 276-279

St. Mark *Monthly Review*

Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.

ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July & August excluded, sent by Int. Courier):

U.S.$ 110.00

Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:

"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.

No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.

© 2025 by the Monastery of St. Macarius the Great.

Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382

VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG